

کامل کیلانی



قصص شکسپیئر

الملک لیر



DADAARAB

سید المصطفیٰ

کامل کیلانی

قصص شکسپیر

المَلِکُ الَّذِیْ لَمْ یَرَ

الطبعة الثانية عشرة



دار المعارف

تَحْسِينُ

١ - قِصَّةُ عَجُوزٍ

كَانَتْ مَمْلُوكَةً • إِنْجَلَرَةَ • - حِينَ وَقَعَتْ حَوَادِثُ هَذِهِ الْقِصَّةِ - تَمَرُّ بِأَحْدَثٍ وَخُطُوبٍ (مَصَائِبٍ) ، لَا عَهْدَ لَهَا بِأَمْثَالِهَا مِنْ قَبْلُ . وَإِلَيْكَ مَا تَقَعُّهُ عَجُوزٌ كَيْفَتَ (زَادَتْ) عَلَى خَسِينٍ وَمِائَةٍ مِنَ السَّنِينَ . قَالَتِ الْعَجُوزُ :

• لَقَدْ عِشْتُ أَكْثَرَ مِنْ مِائَةٍ وَخَسِينٍ عَامًا . وَرَأَيْتُ فِي طُغُولِي - مِنَ الْكَوَارِثِ وَالْمِحَنِ - مَا لَمْ يَخْطُرْ لِلْإِنْسَانِ عَلَى بَالٍ . وَلَا زِلْتُ أَذْكُرُ نَكَاتَ التَّوَامِيفِ الْهَوِجِ حِينَ أَكْفَسَتْهَا الْغَابَاتُ ، ثُمَّ أَغْصَبَهَا فَيَصَانُ الْأَنْهَارُ ؛ فَاتَّغَرَّقَ مِنَ الْبِلَادِ مَا أَغْرَقَ ، وَأَهْلَكَ مِنَ الْحَرْثِ (الزَّرْعِ) وَالنَّسْلِ (الْأَوْلَادِ) مَا أَهْلَكَ !

لَا أَزَالُ أَذْكُرُ - إِلَى الْيَوْمِ - ذَلِكَ الْيَوْمَ الَّذِي شَهِدْتُهُ فِي طُغُولِي ، وَأَتَمَثَّلُ (أَتَصَوِّرُ) حَوَادِثَهُ الْبَعِيدَةَ ، كَأَنَّمَا وَقَعَتْ أَمْسَ . وَلَكِنْ مَا حَدَّثَ فِي هَذَا الْعَامِ ، قَدْ مَحَا - أَوْ كَادَ - كُلَّ

ما استعظمتُهُ مِنَ الْأَحْدَاثِ الْمَاضِيَةِ . وَلَيْسَتْ تِلْكَ الْمَصَائِبُ الَّتِي
حَلَّتْ بِيَلَادِنَا - فِي ذَلِكَ الزَّمَنِ السَّيِّئِ - إِلَّا شَيْئًا يَسِيرًا تَقِيهَا
(لَا قِيَمَةَ لَهُ) ، إِذَا قَبِسْتَ بِمَا وَقَعَ فِي هَذَا الْعَالَمِ .

قَدْ تَأَلَّيْتُ (تَجَمَّعْتُ) قُوَى الشَّرِّ ، وَاجْتَمَعَتِ الْكَوَارِثُ ،
وَتَنَابَعَتِ الْأَحْدَاثُ ، وَتَهَنَّتِ الْأَبَالَةُ وَالشَّيَاطِينُ فِي إِغْرَاءِ النَّاسِ
بِضُرُوبِ (أَسْوَافِ) مِنَ الظُّلُمِ وَالْقَسْوَةِ وَالْأَنَانِيَةِ (حُبِّ الذَّاتِ) ،
وَمَا إِلَى ذَلِكَ مِنْ أَلْوَانِ الشَّرِّ ، وَأَقَانِينِ الشَّقَاءِ (أَنْوَاعِ الشَّدَقَةِ وَالْمُسْرِ) .
وَفِي شِمَالِ « إِنْجِلْتَرَة » طَفَتْ أَمْوَاضُ الْبُحْبُورَاتِ ، وَأَغْرَقَتْ مِنْ
السَّكَّانِ وَالْمَسَاكِينِ أَلْفًا .

نَهْجٌ جَاءَ الشَّقَاءُ ؛ فَخَرَجَتِ الذَّنَابُ وَأَصْنَافُ الْوُحُوشِ الضَّارِيَةِ
مِنْ مَكَامِنِهَا ، وَالْتَهَمَتِ الْأَنْعَامُ فِي رَائِعَةِ التَّهَارِ ، دُونَ أَنْ تُبَالِيَ
كَأَيِّهَا كَانَ .

وَعَاسَتْ الْخَنَازِيرُ الْبَرِّيَّةُ فِي أُرُقَةِ الْقَرْيِ : فَمَلَأَتْ أَلْقَابُوبَ دُغْرَا
(خَوْفًا) ، وَفَسَتْ قُلُوبُ النَّاسِ ، وَنَمَتْ بَيْنَهُمْ بُدُورُ الشَّقَاقِ
وَالْتَفَرَّقَتْ ، وَحَلَّتِ الْخِصَامُ مَحَلَّ الْوِثَامِ (الْوِثَاقِ) . وَسَرَى الْخُلْفُ

بَيْنَ الْأَزْوَاجِ ، ثُمَّ انْتَضَلَّتْ عَذَوَاهُ إِلَى الْأَطْفَالِ ؛ فَأَصْبَحَتِ الْبِلَادُ
جَحِيمًا لَا يُطَاقُ . »

٢ - مَهْرَجَانُ الْمَلِكِ

هَذَا بَعْضُ مَا قَصَّتهُ عَجُوزُ ذَلِكَ الزَّمَانِ ، وَرَأَتْهُ رُؤْيَا الْعِيَانِ .
وَقَدْ تَوَخَّيْتُ (تَمَنَّنْتُ) أَنْ أَتَيْتُهُ لَكُمْ - أَيُّهَا الْأَصْدِقَاءُ الْأَعْرَاءُ -
لَتَعْرِفُوا مَتَى وَقَعَتْ حَوَادِثُ هَذِهِ الْقِصَّةِ ؟ وَفِي أَيِّ عَهْدٍ - مِنْ عَهْدِ
الْإِضْطِرَابِ - مُثِّلَتْ قُصُولُهَا الْمُخْزِنَةُ ؟

وَكَانَ بَدَأَ هَذِهِ الْأَحْدَاثِ الْمُفْرَعَةُ يَوْمَ الْمَهْرَجَانِ الَّذِي أَقَامَتْهُ
الْمَلِكَةُ « لِير » فِي قَصْرِهِ الْكَبِيرِ ، مُنْذُ أُلْقِيَ عَامِرُ .

وَقَدْ أَغْتَرَمَ الْمَلِكُ أَنْ يَقْسِمَ مُلْكُهُ الْعَظِيمَ بَيْنَ بَنَاتِهِ الثَّلَاثِ ،
وَيَرْفَعَ عَنْ كُلِّهِنَّ أَحَدَهُ الْمُلْكُ (أَتَقَالِ الْحُكْمِ) ، وَبُرِيحَ شَيْخُوخَتِهِ ،
وَبِقِصَى أَثَامِهِ الْأَخِيرَةِ فِي أَفْنٍ وَسَلَامٍ ، وَادِعَ الْخَلْدِ (مُسْتَرِيحِ
الْقَلْبِ) ، نَاعِمَ الْبَالِ .

وَكَانَتْ الْأَنْوَارُ سَاطِعَةً فِي كُلِّ مَكَانٍ مِنْ قَصْرِ الْمَلِكِ ،

تَنَمَّكُسُ أَضْوَاؤُهَا الْبَهِيَّةُ عَلَى أَعْمَدَةِ الْقَصْرِ الذَّهَبِيَّةِ ، وَصَاوِرِهِ
الْمُبَدَّعَةِ النَّصِيَّةِ . وَهِيَ تُثَلُّ أَنْتَصَارَ الْمَلِكِ « لِير » عَلَى أَعْدَائِهِ ، فِي
زَمَنِ صِبَاهُ .

وَكَانَ الشَّامِلُ لَا يَمْلِكُ قَسَهُ مِنَ الْحَسْرَةِ وَالْأَسَفِ ، كُلَّمَا وَقَعَتْ
عَيْنَاهُ عَلَى هَذَا الْقَتْنِ الْقَوِيِّ « لِير » ، الْجَرَى الْبَاطِنِ (الْآخِذِ بِمَنْفَى) ،
الَّذِي تُثَلُّ تِلْكَ التَّصَاوِيرُ الْمُعْجِبَةُ ، وَقَانِلَهَا هَذَا الشَّيْخُ « لِير » ،
الْمَائِلُ (الْوَاقِفُ) فِي الْحَقْلِ ، وَقَدْ جَلَّلَ الشَّيْبُ رَأْسَهُ ، وَقَوَّسَتْ
قَنَاتُهُ السُّنُونَ (حَنَتْ الْأَعْوَامُ ظَهْرَهُ) ؛ فَانْتَضَمَتِ الرَّعْشَةُ بِيَدَيْهِ
التَّاحِلَتَيْنِ ، وَأَصْبَحَ يَنْشِي إِلَى الْقَنَاءِ (الْعَوْتِ) ، يَخُطُّوَاتٍ سَرِيعَةً .
وَقَدْ أَجْتَمَعَتْ فِي ذَلِكَ الْبَهْرَجَانِ شَايَةَ الْمَلِكِ وَقُوَادَهُ وَسَرَاهُ
الْبِلَادِ (رُؤُوسُهَا) ، وَجَلَسَ إِلَى جَانِبِهِ وَزِيرُهُ الْمُخْلِصُ الْأَمِينُ :
« كُنْتُ » ، وَتَدْيِمُهُ (صَاحِبُهُ) الْمُخْتَارُ : « يُهْلُولُ » .

الفصل الأول

١ - عَهْدُ الشَّيْخُوخَةِ

تَبَدَّأَ هَذِهِ الْقِصَّةُ حِينَ بَلَغَ الْمَلِكُ « لِير » الثَّمَانِينَ مِنْ عُمْرِهِ ،
وَأَصْبَحَ شَيْخًا يَجْتَمِعُ - إِلَى صَفْرِ الْجِسْمِ - حَقْلُ الرُّأْيِ (قَسَاءُ
التَّضَكُّيرِ) ، وَسُوءُ التَّذْيِيرِ .

وَكَانَ الشَّيْخُ « لِير » - فِي هَذِهِ الْمَرَحَلَةِ الْأَخِيرَةِ مِنْ سِنِيهِ -
شَدِيدَ السَّامَةِ وَالضَّجَرِ . وَقَدْ زَهَّدَتْهُ الشَّيْخُوخَةُ فِي كُلِّ شَيْءٍ مِنْ
مَبَاهِجِ الْحَيَاةِ : فَلَمْ يَبْقَ لَهُ مِنْ أُمْنِيَّةِ (رَغْبَةٍ) بَرَجُوهَا ، وَيَأْنَسُ
بِهَا فِي الْحَيَاةِ إِلَّا بَنَاتُهُ الثَّلَاثُ .

وَكَانَ الْمَلِكُ « لِير » يُحِبُّ هَؤُلَاءِ الْبَنَاتِ حُبًّا شَدِيدًا ، وَلَا يُطْلِقُ
الصَّبْرَ عَلَى بِعَادِهِنَّ .

٢ - بَنَاتُ الْمَلِكِ « لِير »

وَكَانَتْ ثَنَانَيْنِ - مِنْ بَنَاتِ الثَّلَاثِ - قَدَرُوجَاتَا أَمِيرَيْنِ . أَمَّا الثَّالِثَةُ

— وَهِيَ صُغْرَاهُنَّ — فَهَذَا جَاءَ الْآنَ مَلِكُ « قَرْنَا » وَأَخَذَ أَمْرَهُ
 « إِنِجْلَتَهُ » ، وَنَزَلَ سَيِّفَيْنِ عَلَى الْمَلِكِ « لِير » وَأَقَامَا فِي قَصْرِهِ ،
 وَكَانَ كِلَاهُمَا رَافِعًا فِي أَنْ يَتَزَوَّجَ « كُرْدِلِيَا » : صُغْرَى بَنَاتِهِ . وَأَمَرَ
 الْمَلِكُ « لِير » بِاسْتِعْمَالِ بَنَاتِهِ الثَّلَاثِ ، وَقَالَ لَهُنَّ :
 « لَقَدْ عَنَّا لِي — يَا بَنَاتِي التَّزْوِجَاتِ — أَنْ أَقِيمَ مُلْكِي يَتَنَكَّنَ .
 وَلَكِنِّي أُحِبُّ أَنْ أَعْرِفَ — قَبْلَ كُلِّ شَيْءٍ — مَدَى (مُنْتَهَى)
 حُبِّكِ لِيَايَ ، لِأَرَى رَأْيِي . »

٣ — حَدِيثُ « جُنْرِيل »

فَقَضَّ مَتَّ كُبْرَى بَنَاتِهِ ، وَاسْمُهَا « جُنْرِيل » ؛ وَكَانَتْ — عَلَى
 الْحَقِيقَةِ — امْرَأَةً سَوَاءً (حَبِثَةً) ، تَجَمُّعُ — إِلَى رَبَائِهَا النَّادِرِ —
 لَوْثًا وَحُبًّا عَظِيمَيْنِ . وَلَمْ تَكُنْ تُضَيِّرُ لِأَيِّهَا شَيْئًا مِنَ الْحُبِّ ، وَلَكِنِّي
 رَأَيْتُ أَمَاتَهَا فَرَسَةً سَانِحَةً لِتَسْلِيْقِهِ (مُخَادَعَتِهِ) وَالتَّوَدُّدِ إِلَيْهِ ، طَمَعًا
 فِي الْبِيرَاتِ الَّتِي لَوْحَ (أَشَارَ) لَهَا بِهِ .
 قَالَتْ لَهُ ، وَهِيَ تَتَظَاهَرُ بِالْحُبِّ وَالْوَفَاءِ وَالْحُوءِ :

« إِنَّ حُبِّيكَ (مَحَبَّتِي لَكَ) — يَا أَبِي — لِأَجَلٍ وَأَعْظَمُ مِنْ أَنْ
 تُعَبِّرَ عَنْهُ الْأَلْفَاظُ . كَيْفَ لَا ، وَأَنْتَ أَعَزُّ عَلَيَّ مِنْ إِنْسَانٍ عَيْنِي
 (سَوَادِهَا وَحَدَقْتُهَا) ، وَأَنْتُمْ لَدَيَّ مِنْ نَفْسِي ، وَحُرَّتِي وَجَمَالِي ،
 وَصِحَّتِي ! »

فَأَبْهَجَ الْمَلِكُ « لِير » بِسَمَاعِ هَذَا الثَّنَاءِ الزَّائِفِ (الْمُفْشُوشِ) ،
 وَقَالَ لَهَا مَسْرُورًا :

« مَا دُمْتَ تُحِبُّنِي إِلَى هَذَا الْحَدِّ ، فَأَيُّ جَدِيرٍ بَانَ أَتُنَحَّكَ نُلَّتْ
 مُلْكِي . فَأَنْتِ — فِيمَا أَرَى — حَقِيقَةُ هَذِهِ الْمُكَافَأَةِ . »

٤ — حَدِيثُ « رِيحَان »

ثُمَّ انْفَضَّ إِلَى بِنْتِهِ الْوُسْطَى قَانِلَا :

« إِلَى أَيِّ حَدٍّ بَلَنْتَ مَحَبَّتَكَ أَبَاكِ ، يَا رِيحَانُ ؟ »

قَالَتْ لَهُ مُرَاتِبَةً مُتَوَدِّدَةً (مُظْهِرَةً مِنَ الْمَحَبَّةِ وَالْمُودَّةِ خِلَافَ مَا هِيَ
 عَلَيْهِ) : « إِنِّي أُحِبُّكَ — يَا أَبَتَاهُ — قَدَرًا مَا تُحِبُّكَ أُخْتِي « جُنْرِيل »
 إِنْ لَمْ أَرِدْ عَلَيْهَا ؛ فَلَيْسَ لِي فِي هَذِهِ الدُّنْيَا كُلِّهَا شَيْءٌ يَشْغُلُنِي عَنْ

ذِكْرَكَ ، أَوْ يُحَوِّلَنِي عَنْ حُكِّكَ ، أَوْ يُنْسِبَنِي بِرِّكَ بِي . وما أذكر
 أَنِّي غَفَلْتُ عَنِ التَّفَكُّيرِ فِكَ - يَا أَبَتِ - لَحْظَةً وَاحِدَةً .
 فَضَرَحَ الْمَلِكُ « لِير » ، وَتَمَلَّكَ الرَّهْوُ وَالْإِعْجَابُ ، وَتَطَلَّقَتْ
 أَسَارِيرُهُ (تَهَلَّلَ وَانْفَرَجَتْ تَجَاعِيدُهُ) بِهَجَّةٍ وَجُورًا بِمَا سَمِعَ ، وَأَنَّنِي
 عَلَى نَفْسِهِ « رِيحَان » أَحْسَنَ الثَّنَاءِ ، وَشَكَرَ لَهَا هَذَا الْإِخْلَاصَ النَّادِرَ ،
 وَأَكْبَرَ فِيهَا وَفَاءَهَا الْمَجِيبَ ، ثُمَّ قَالَ لَهَا :
 « لَكَ مِنِّي - أَيَّتُهَا الْبَنْتُ الْبَارَةُ - ثَلَاثُ مُلْكِي . فَأَهْنِي بِهِ ؛
 فَأَنْتِ بِهَذِهِ الْمُكَافَأَةِ جَدِيدَةٌ .
 وَأَكْبَرَ الْمَلِكُ ذَلِكَ الْحَنُوَّ ، وَاشْتَدَّ إِعْجَابُهُ بِمَا سَمِعَ ، وَشَكَرَ
 لَا يَنْتَبِهُ هَذَا الْحُبُّ النَّادِرَ ، وَالْوَفَاءُ الْمَجِيبَ .

٥ - حديث « كُرْدِلِيَا »

ثُمَّ انْصَبَ الْمَلِكُ « لِير » إِلَى قَتَاتِهِ الصُّغْرَى : « كُرْدِلِيَا » ، وَقَالَ لَهَا :
 « لَقَدْ جَاءَ دَوْرُكَ - يَا نُورَ قَلْبِي - وَلَسْتُ أَشْكُ فِي أَنَّ حُبَّكَ
 لِرَأْيِ أَعْظَمُ مِنْ حُبِّ أُخْتَيْكَ . وَقَدْ أَدَخَرْتُ (اخْتَفَضْتُ) لَكَ

ثَلَاثَ الْمُلْكِ ، وَهُوَ أَحْصَبُ بَعْثَةٍ فِي مَمْلَكَتِي وَأَغْنَاهَا فَعَدَّيْنِي
 بِبِقْدَارِ مَا تُضِيرِبَنِي لِي (مَا تُخْفِنَنِي فِي ضَيْبِكَ) مِنْ حُبٍّ وَوَلَاءٍ .
 قَالَتْ لَهُ « كُرْدِلِيَا » : « لَيْسَ لَدُنِّي مَا أُحَدِّثُكَ بِهِ ، يَا أَبَتَاهُ ! »
 قَالَ لَهَا مَذْهُوْشًا : « مَاذَا تَقُولِينَ ؟ أَلَيْسَ لَدَيْكَ مَا تُحَدِّثُنِي بِهِ ؟ »
 قَالَتْ لَهُ « كُرْدِلِيَا » : « لَا شَيْءَ عِنْدِي ، يَا أَبَتَاهُ . »
 قَالَ لَهَا الْمَلِكُ « لِير » : « كَأَنَّكَ لَا تُحِينَنِي ، أَيُّهَا الْقَتَاةُ الْأَعْيَى
 عَلَى مِسْمَعِي جَوَابَكَ الْأَخِيرَ . »
 قَالَتْ « كُرْدِلِيَا » : « إِنِّي أُحِبُّ جَلَالَتَكَ بِبِقْدَارِ مَا يَخْتِشُّ عَلَى
 الْوَاجِبِ الْأَبْرَى ، لَا أَكْثَرُ ، وَلَا أَقَلَّ . »

٦ - نَبْلُ « كُرْدِلِيَا »

وَأَمَّا قَالَتْ « كُرْدِلِيَا » ذَلِكَ ، وَلَمْ تَصْنَعْ لَهَا عِبَارَاتِ الْمَدِيحِ
 وَالثَّنَاءِ الْغَلَابَةِ - كَمَا فَعَلَتْ أُخْتَاهَا مِنْ قَبْلُ - لِأَنَّهَا أَتَتْ (كَرِهَتْ)
 أَنْ تَتَلَكَ مَسَالِكَ الرِّيَاءِ ، وَتَسْتَبْفِيسَهَا عَنْ أَنْ تَكُونَ مُخَادِعَةً مُتَلَفَّةً
 (تَوَلَّ بِلْسَانِهَا مَا لَيْسَ فِي قَلْبِهَا) .

وكانت على يقين من لوم أخنتيا وخُبث طويتهما (نيتهما) ؛
فاحتقرت منها ذلك الشاء الزائف ، الذي تطلعت به ، لتخدع أباهما
عن حقيقة نفسيهما ، رغبة في أن تظفرا بملكه العظيم .
وكانت « كُرديا » عارفة أن أخنتيا تنويان النذر بأبيهما الشيخ ،
وأنهما لا تمنحانه الوُدَّ (لا تُضَمِران لَهُ صَادِقَ المودَّةِ) ، ولا
تؤدبان له شيئا من واجبات الأبوة عليهما ، وإن كانتا قد أغرقناه
بعبارة المدبِّر والشاء التي لا طائل تحتها (لا فائدة منها) ، لتظهرها
بغير مخبرهما (باطنيهما) الحقيقي .

ثم قالت « كُرديا » مستأنفة : « ما أنا إلا بنتك . وقد أوجدتني
من العدم ، وخصصتني بحبك وعطفك . وليس لي إلا أن أقدر ذلك
لك ؛ فأبادلك حبا يحُبِّر ، وعطفا برعايف . فإن واجب أبوتك
يقضي على أن أكون وثقة لك ، بارة بك ، وأن أطيع أوامرك ،
وأحبك وأحلك الإجلال كله . »

٧ - غضب « لير »

كان الملك « لير » يفرّد (يخص) بنته الصنيعة « كُرديا »

بحبٍ عظيم ، ويؤثرها (يفضلها) على أخنتيا الكبرى والوسطى ،
ولا يطبق فرقتها . وكان يزحف أدنينو لساع آيات الإعجاب به ،
والثناء عليه ، ويحبها مضمّنة في صوغ عبارات الولاء (الإخلاص) ،
أكثر من أخنتيا . فلما سيع منها ذلك الكلام الفاتر ، خاب
أمله فيها ، وامتلات قهقهة سُخْطًا (غَضَبًا) عليها ، وتبرّما (قَصَبَها)
بها ؛ لأنه ظن أن حبها إياه أقل من حب أخنتيا .

ولمّا عَرَفَ الخُبْرَ (لو عَلمَ الحقيقة) ، لأحق أن « كُرديا »
أخلص لإنسان له ، وأبرّ أبنه إليه ، وأنها لم تتأ أن تتجرّ بحبها
أباهما ، كما فعلت أخنتيا .

ولمّا أن أباهما سألها مثل هذا السؤال ، في غير هذا الوقت ، لأضحت
إليه (صرحت له) بما تُضَمِّرُ له من وفاء وبر لا مثيل لهما ؛
أما وقد سألها في ذلك الوقت الذي يقسم فيه ميراثه بين بناته
الثلاث ، ورأت من رياه أخنتيا ما رأت ؛ قد سمت بها عزة نفسها ،
وأبى لها إياها وسوء أخلاقها أن تجاريهما في هذا التمليق ، وتتدفع
معهما في ذلك التلقيق .

أَمَّا أَبُوهُ دَيْرٌ فَقَدْ أَتَتْهُ الشَّيْخُوخَةُ وَاجِبَاتِ الْحَزْمِ ، وَدَفَعَتْهُ
الْمُهْتَرُ (مَنْفُ الْعُلَى) إِلَى سُوهِ الْأَرْمَى ، وَخَطَلَى التَّقْدِيرَ (خَطَلَتْهُ) ؛
فَلَمْ يَرَ فِي كَلَامِهِ دُرْدِيَا ، إِلَّا زَهْرًا وَكَبْرًا وَتَمَالِيًا وَغَطْرَسَةً .
وَمَا هُوَ - مِنْ شَيْءٍ - مِنْ هَذِهِ الْمَعَانِي بِسَبِيلٍ .

وَتَمَادَى (اسْتَرَدَّ) دَيْرٌ فِي غَضَبِهِ ، وَأَسْلَمَ لِسُخْطِهِ الْغَنَاءَ (تَوَكَّلَ
لِنُصْبِهِ الزَّمَامَ) ؛ فَانْتَهَرَ دُرْدِيَا (زَجَرَهَا) ، وَأَرْعَاهَا بِالْإِسْتِغْنَاءِ
عَنْ نَاطِرَتِهِ فِي الْحَالِ ، ثُمَّ قَسَمَ الثُّلُثَ الْبَاقِيَ مِنْ مُلْكِهِ - الَّذِي كَانَ
يَدَّخِرُهُ لَهَا - بَيْنَ أَخْتَيْنِهَا التَّادِرَتَيْنِ .

٨ - مَهْرَجَانُ الْمَلِكِ

وَأَقَامَ الْمَلِكُ دَيْرٌ مَهْرَجَانًا عَظِيمًا ، جَمَعَ فِيهِ سَرَاةَ الدَّوْلَةِ
وَأَعْيَانَهَا ، وَأَعْلَنَ أَمَامَهُمْ مَا قَرَّرَهُ وَاشْتَرَطَهُ . وَلَمْ يَحْتَفِظْ لِنَفْسِهِ
بِشَيْءٍ مِنَ الْمَظَاهِيرِ إِلَّا بِقَبْرِ الْمَلِكِ ، وَبِأَيَّةِ فَارِسٍ يَكُونُونَ لَهُ
حَاشِيَةً ، عَلَى أَنْ يَنْزِلَ سَبَقًا عَلَى إِحْدَى بَنَاتَيْهِ شَهْرًا ، ثُمَّ بَعْضَى
الشَّهْرِ الثَّلَاثِي فِي قَصْرِ الثَّانِيَةِ ، ثُمَّ يُعِيمَ - فِي الشَّهْرِ الثَّلَاثِي - فِي قَصْرِ



الأولى ، فإذا جاء الشهرُ الرابعُ عاد إلى الأخرى ، وهكذا حتى ينتهي أجله .

وقد عجبتُ الحاشيةُ من هذا القرارِ ودهشوا له . ولكنهم لم يجرؤوا على مخالفته ، ولم يستطعوا أن يمارضوا الملكَ في رأيهِ ، ما خلا وزيره الحكيمَ الراشد « كنت » ، الذي أقدمَ على النصيح له بالإقلاع عن فكرته الغامضة (تركها) ؛ فكان نصيبه — على صديق نصيحته — التهديدُ والوعيدُ . فلم يخش الوزيرُ النصيح تهديدَ الشيخ « لير » ، ولم يخفَ وعيده .

فاغتاط الشيخ « لير » ، وجعل يقولُ له : « إن القوسَ مُنْصَرَّةٌ ، وقد أُعيدَ فيها السهمُ . وما هي إلا لحظةٌ حتى يتطلق السهمُ القاتلُ منها . فاحذَرُ أن تكونَ هدفاً له فتهلك » .
ثم أنشد ، بُنْدَرُهُ وبوعده :

« انْحَتَرَ القوسُ ، وكادت ترمى
وفوقَ السهمِ ، وكاد يصني
فلا أجذك هدفاً ليعمي . »

فأجابه الوزيرُ الشجاعُ : « إذا اندمَعَ سهمُ الموتِ إلى قلبي فمَرَقَهُ ، فأني لا أخشى شيئاً . ولتُفَتِّلْ بي أقدارُ الدهرِ وأحوالُ الزمنِ ما تشاء . »
ثم أنشد :

« إن يتطلىق سهمُ الردى ، من الوترِ
إلى فؤادى مُضْمِعِيَا ، فينْفِطِرُ
فلستُ هيأباً تصاريفَ القدرِ . »

لصاح فيه الشيخ « لير » : « وَتِلْكَ أَيُّهَا النَبِيُّ . أَلَا قُلِعَ عن لجأجتِكَ وعنادِكَ ؟ » فأجابه الوزيرُ مخزُوناً يُعَذِّرُهُ عاقبةُ أمرِهِ ، ويُظهِرُهُ على هولِ ما يعترِضُ إغاثَهُ : « إنك ترمي فتلكَ في حُفْرَةِ الظلمِ والاعتداءِ .. فعلى مهلك . إن ما تفعلهُ شيءٌ عظيمٌ ، وإن الظلمَ آخرُهُ سَيِّئَةٌ » ، وخطَرُهُ جسيمٌ . » ثم أنشد :

« في وَهْدَةِ البُنيِ أراك تنحدرُ
فلا تسارعِ ، إنها إحدَى الكُتَبِ
لأنَّ طريقَ البُنيِ مخشىُ الخطرِ . »

فاشدَّ غضبُ الملكِ وسخطُهُ على وزيرِهِ ، وأمرَ بطرده وقبهِ من

المدينة ، وتوعده بالقتل إذا بقي في مملكته بعد اليوم .

قال الوزير : « إني أخلفت لك في نصيحتي ؛ فلتتخبط بما أقول .
والنصح أنتم ما يحفظ ، وهو دليل على الوفاء والإخلاص في أوقات
الشدة وحوادث الزمن . » ثم أئسد :

« مَحَصَّتْكَ النُّصْحُ ؛ فَحَازِرْ ، وَاعْتَبِرْ

وَاعْلَمْ بِأَنَّ النُّصْحَ أَفْضَلُ مُدَحَّرْ

مِنْ صَادِقِ الْوُدِّ ، إِذَا الدَّهْرُ عَدَّرْ . »

ثم خرج مخزونا مشهورا ، وقد أدرك أن آخرة مملكته قد قربت ،
وأن مصرعه وشيك (هلاكه مسرع إليه) .

٩ - وداع « كزديا » .

قُلْنَا - آهًا - إِنَّ خَاطِبَيْنِ قَدْ جَاءَا بِرَغَايَا فِي الزَّوْاجِ بِالْأَمِيرَةِ
« كزديا » ، وهما ملك « فرنسا » ، وأحد أمراء « إنجلترا » .
فأما الأمير الإنجليزي ، فقد كف (امتنع) عن طلب الزواج
بالأميرة « كزديا » ، بعد أن قدت حقها في ميراث أبيها .

وهناك توجه ملك « فرنسا » إلى الأميرة « كزديا » ، وأصر
(عزم) على الزواج بها ، بعد أن خذلها أبوها وخطيبها الآخر .



وقد أعجب ملك « فرنسا » بصراحة « كزديا » ، وأكبر فيها
المرأة التي أظهرتها في تلك الساعة ، إذ رصيت بالنزول عن نصيبها
في الملك ، ورأت أن تخرج من الدنيا فقيرة مُعْدِمَةً (لا تملك)

شَيْئًا) ، مُؤَيَّرَةً (مُفَضَّلَةً) ذَلِكَ عَلَى أَنْ تَتَجَرَّ بِحُبِّ أَبِيهَا ، وَتَتَّخِذَهُ

سُلْمًا إِلَى مُشَارَكَةِ اخْتِبَائِي فِي الْيَرَاتِ .

وَبَعْدَ زَمَنٍ قَصِيرٍ رَأَى مَلِكُ « قَرْنَا » أَنْ يَمُودَ بِرُؤُوسِهِ
« كُرْدَلِيَا » إِلَى وَطَنِهِ ، فَاسْتَأْذَنَتْهُ فِي وَدَاعِ اخْتِبَائِهَا . وَقَدْ فَارَقَتْهَا
دَائِعَةُ الْعَيْنِ ، مَحْزُونَةٌ أَقْلَبَ ، وَأَوْصَتْهَا خَيْرًا بِأَبِيهَا . فَأَعْلَقَتْ لَهَا
أَقْوَالَ ، وَخَافَتْنَاهَا فِي الْحَدِيثِ (اسْتَدَّتْ كُلَّ مِنْهَا عَلَيْهَا فِي
الْكَلَامِ) ، وَقَالَتْ لَهَا سَاخِرَتَيْنِ :

« لَنَا فِي حَاجَةٍ إِلَى تَوْصِيَّتِكَ ؛ فَلَتَيْتِ بِأَبْرَ مِنْ كَلَّتَيْنَا بِهِ ،
وَمَا هُوَ بَأْسُ كَرَمٍ عَلَيْكَ مِنْهُ عَلَيْنَا . »

أَمَّا أَبُوهَا الْمَلِكُ « لِير » ، فَقَدْ قَالَ لِزَوْجِهَا غَاضِبًا :

« اذْهَبْ بِهَا إِلَى حَيْثُ شِئْتَ ، فَمَا أَطْلُقُ رُؤْيَا وَجْهَهَا بَعْدَ الْآنَ . »
قَالَ لَهُ مَلِكُ « قَرْنَا » : « لَيْكُنْ مَا تَشَاءُ . فَوَدَاعًا . »

ثُمَّ سَافَرَتْ « كُرْدَلِيَا » - صُورِي بَنَاتِ الشَّيْخِ « لِير » - مَعَ
زَوْجِهَا مَلِكِ « قَرْنَا » إِلَى وَطَنِهِ ، حَيْثُ اتَّخَذَتْهُ لَهَا مُقَامًا (مَكَانًا
يُقِيمُ فِيهِ) بَعْدَ ذَلِكَ الْيَوْمِ .

الفصل الثاني

١ - فِي قَصْرِ « جُنْدِيل » .

هَدَاتُ ثَمَرَةُ الْمَلِكِ « لِير » ، بَعْدَ أَنْ أَقْصَى (أَبْعَدَ) بِنْتَهُ الْمَخْلِصَةَ
الْوَقِيَّةَ « كُرْدَلِيَا » عَنْ مَمْلَكَتِهِ ، وَهُوَ يَحْسِبُهَا مِثَالَ الْعُقُوقِ (عَدَمِ
الْقِيَامِ بِالْوَجِبِ نَحْوَ أَبِيهَا) وَالنَّدَرِ وَالْكَبْرِيَاءِ .

وَذَهَبَ الْمَلِكُ عَلَى الْقَوْرِ إِلَى قَصْرِ بِنْتِهِ « جُنْدِيل » . وَلَكِنَّهُ
مَا عَتَمَ (مَا بَلَتْ) أَنْ أَدْرَكَ حَقَاقِ الْأَشْيَاءِ الَّتِي كَانَ الرِّيَاءُ وَالنَّفَاقُ
يَسْتُرَانِهَا عَنْ نَاطِرَيْهِ ، وَيَخْبِيَانِهَا عَنْ عَيْنَيْهِ - وَعَرَفَ أَنَّ الْأَقْلَاطَ ،
الْمَعْشُولَةَ ، وَالْمَدَامَحَ الْمُنْفَعَةَ (الْمُرْخَرَقَةَ) الزَّائِمَةَ ، لَا تُغْنِي عَنِ
النَّحْقِ شَيْئًا .

لَقَدْ تَمَلَّكَتِ الْبِلَادَ - بَعْدَ أَبِيهَا - وَطَقِرَتْ (فَازَتْ) بِكُلِّ
مَا مَتَحَهَا إِيَّاهُ مِنْ سُلْطَانٍ وَقُوَّةٍ ، وَاسْتَبَتْ (اسْتَعْرَتْ) لَهَا الْمَلِكُ ؛
فَكَانَ أَوَّلَ هَمِّهَا أَنْ تَنْتَكِرَ (تَتَغَيَّرَ) لِمَنْ أَحْسَنَ إِلَيْهَا ، وَتَجَرِّيَهُ عَلَى
صَنِيعِ النُّشُكُورِ أَتْبَحَ جَزَاءَهُ ، وَتَكَاثُرَ إِسَاءَهُ بِإِحْسَانِ ، وَعُفُوقًا بَيْنَ ،
وَعُدْرًا بَوْعَاهُ .

٢ - حُبْتُ « جُرَيْلَ »

ورأت « جُرَيْلُ » ، أنَّ أباه قد أصبح - بعد أيام قليلة -
 مُمِلًا قِيَلًا لَا يُطَاقُ ، وَاسْتَكْرَمَتْ عَلَيْهِ مائة الفارس الذين اسْتَبَقَاهُمْ
 لِنَفْسِهِ ، لِيُرَاقِبُوهُ فِي حَلِّهِ وَتَرَحُّلِهِ (فِي إِقَامَتِهِ وَسَفَرِهِ) .
 وَأَصْبَحَتْ « جُرَيْلُ » ، تَلْقَى أَبَاهَا - كُلَّمَا وَقَعَ نَظَرُهَا عَلَيْهِ -
 بِوَجْهِ عَبُوسٍ ، وَقَطْبُ حَاجِبَيْهَا (تَمَيَّسَ) كُلَّمَا نَادَاهَا ، وَلَا تَلْقَى
 (لَا تُجِيبُ) لَهُ رَجَاءً ، وَلَا تُنْفِذُ لَهُ مَشِيئَةً .
 وَاتَّقَدَّى بِهَا خَدَّهَا فِي مُسَامَلَةِ هَذَا الشَّيْخِ ؛ فَأَصْبَحُوا لَا يُكَلِّمُونَ
 لَهُ أَمْرًا ، وَلَا يُعَامِلُونَهُ بِغَيْرِ الْإِهْمَالِ وَالِاخْتِفَارِ وَقَلَّةِ الْأَكْثَرَاتِ .

٣ - وفاء الوزير

أَنَا الْوَزِيرُ الْوَقِيُّ « كُنْتُ » ، الَّذِي طَرَدَهُ الشَّيْخُ « لِير » ، مُكَافَأَةً
 لَهُ عَلَى صِدْقِ وِفَائِهِ ، وَأَمَرَ بِنَفْيِهِ مِنْ مَدِينَتِهِ ، قَدْ أَبَى عَلَيْهِ إِخْلَاصَهُ
 لِنَاسِكَ أَنْ يَتْرُكَهُ نَهْبَ الْعَصَائِبِ وَالْأَخْدَانِ (تَهَبُّهُ وَتَحْتَرُّهُ) ،

وَهَزَزَهُ الْخُطُوبُ وَالْكَوَارِثُ (فُرْسَةٌ لِلْبَلَايَا وَالنَّكَالَاتِ) . فَلَمْ يَخْرُجْ
 مِنَ الْمَدِينَةِ ؛ وَلَكِنَّهُ غَيَّرَ مِنْ هَيْئَتِهِ ، وَبَدَّلَ مِنْ شَكْلِهِ ، وَتَزَيَّنَّا
 بِزِيِّ الْقَدَمِ ، ثُمَّ عَادَ إِلَى مَلِكِهِ خَادِمًا أَمِينًا ، يَرْعَاهُ وَيَحْرُسُهُ ،
 وَيَرْفُقُ بِهِ عَنْ كَثِيرٍ (عَنْ قُرْبٍ) .

وَرَضِيَ الْمَلِكُ « لِير » ، بِهَذَا الْخَادِمِ الْجَدِيدِ ، وَهُوَ لَا يَرِفُهُ .
 وَلَمْ يَنْقُضْ عَلَى عَوْدَتِهِ إِلَى مَلِكِهِ يَوْمٌ كَامِلٌ ، حَتَّى رَأَى خَادِمًا مِنْ خَدَمِ
 « جُرَيْلِ » ، يُجَادِلُ الْمَلِكَ « لِير » ، وَيَسْتَهِنْ بِهِ ، لِيُرَضِيَ بِذَلِكَ
 سَيِّدَتَهُ « جُرَيْلَ » .

فَضَيَّبَ الْوَزِيرُ ، وَلَمْ يَحْتَمِلْ وَقَاحَةَ ذَلِكَ الْخَادِمِ الْجَرِيءِ ، وَتَارَتْ
 نَائِرَتُهُ (غَضَبَ) عَلَيْهِ ؛ فَصَفَّهَ (ضَرَبَهُ) سَفْعَةً كَادَتْ تُذْهِلُهُ
 (تَذْهِبُ عَقْلَهُ) وَتَرْزِيهِ (تُهْلِكُهُ) ، جَزَاءً لَهُ عَلَى سَفَاهَتِهِ وَتَطَاوُلِهِ
 عَلَى سَيِّدِهِ . فَاتَّجَعَ الْمَلِكُ « لِير » ، بِوَفَاءِ هَذَا الْخَادِمِ الْجَدِيدِ وَإِخْلَاصِهِ ،
 وَهُوَ لَا يَتَرَفُّ أَنَّهُ وَزِيرُهُ النَّاصِحُ « كُنْتُ » ، الَّذِي لَمْ يَأْلُ
 (لَمْ يُبْقِ) جُهْدًا فِي تَحْذِيرِهِ عَوَاقِبِ التَّسَرُّعِ وَالتَّبَنِّيِ .

٤ - « البهلُول »

وَلَقَدْ تَفَرَّقَ أَصْحَابُ « لِير » ، بَعْدَ أَنْ زَالَ عَنْهُ سُلْطَانُهُ ،
وَدَالَتْ دَوْلَتُهُ (أَهْلَبَتْ رَأْسًا عَلَى عَقِبِ) . وَلَمْ يَبْقَ إِلَى جَانِبِهِ



- بَعْدَ وَزِيرِهِ الْأَمِينِ - غَيْرَ نَدِيمِهِ الَّذِي كَانَ يُقْبَلُهُ مَرَّةً بِالْبَهْلُولِ ؛
لِيُغْفِرَ لَهُ دُعَابَتَهُ (ظَرْفُهُ وَكُكَاهُ) ، كَمَا يُقْبَلُهُ - مَرَّةً أُخْرَى -

بِالْمَجْنُونِ ؛ لِمَا أَعْتَادَهُ مِنْ خَلْطِ الْجِدِّ بِالْهَزْلِ وَالْمَجْنُونِ (عَدَمَ
الْمُبَالَغَةِ) ، وَإِلْبَاسِ الْحَقِيقَةِ ثَوْبَ الْبَاطِلِ .
وَكَانَ « الْبَهْلُولُ » يُحَاوِلُ جَاهِدًا أَنْ يُدْخِلَ السُّرُورَ وَالنَّهْجَةَ عَلَى
نَفْسِ مَلِكِهِ ، وَيَتَخَنَّنُ فِي تَسْلِيَتِهِ بِكُلِّ وَسِيلَةٍ .

٥ - ذِكَاةُ « الْبَهْلُولِ »

وَكَانَ « الْبَهْلُولُ » يُحَاوِلُ أَنْ يُبَصِّرَ « لِيرَ » بِرَاقِبَةِ مَا قَعَلَ .
وَقَدْ أَدْرَكَ - بِثَاقِبِ بَصَرِهِ (بِنَظَرِهِ النَّافِذِ) - مَا تُدْبِرُهُ « جُنْدِيلُ » ،
لَا يَسِيحُ مِنَ الْمَكَايِدِ ، وَعَرَفَ أَنَّهَا تَوَدُّ جَاهِدَةً أَنْ تَتَخَلَّصَ مِنْهُ .
وَقَدْ عَلِمَ « الْبَهْلُولُ » أَنَّ « جُنْدِيلَ » لَنْ تَنْفِرَ لِأَيِّهَا وَخَادِمِهِ
مَا لَقِيَهُ مِنْهَا خَادِمُهَا ، وَهِيَ الَّتِي أَوْعَزَتْ (أَشَارَتْ) إِلَيْهِ - كَمَا
أَسْلَفْنَا - بِأَنْ يَنْحَى أَمْرَ أَيِّهَا ، وَلَا يُبَلِّغَ لَهُ طَلِبًا .

٦ - رِصَّةُ الصُّغُورِ وَالْعُرَابِ

فَدَخَلَ « الْبَهْلُولُ » يُفَنِّي مُدَاعِبًا (مُعَازِجًا) سَيِّدَهُ ، مُتَوَخِّيًا

(قاصداً) أَنْ يُنْذِرَهُ بِالْكَارِثَةِ قُبَيْلَ وَقُوعِهَا ؛ حَتَّى لَا يُجَاجَأَ بِهَا ،
وَكَانَ يُبَلِّغُ لَهُ بِمَا يُرِيدُ ، وَيَقُولُ : « أَخْبَرْنَا الْقِصَصُ الَّتِي حَلَّتْهَا لِإِنَّا
الصُّورُ الْمَاضِيَةُ : أَنَّ عُمْهُورًا أَبْصَرَ غُرَابًا وَلَبِثَا فِي عُمِّهِ ، يَكَادُ
يَهْلِكُ ؛ قَرَّبَ مِنْهُ مَا يَبْتَغِي فِي جَنِّهِ الذَّقَةَ ، وَسَقَاهُ مَا يَشْفِيهِ .
فَلَمَّا نَشِطَ الْقُرَابُ الصَّغِيرُ ، وَهَدَمَتْ بِهِ الْأَيَّامُ ، وَبَلَغَ مَبْلَغَ الشَّابِّ ،
دَفَعَتْهُ نَفْسُهُ الشَّرِيرَةُ إِلَى أَنْ يَقْتُلَ الصُّمُورَ الَّذِي قَدَّمَ لَهُ قَتْلًا ،
وَأَسَدَى إِلَيْهِ جَمِيلًا ؛ وَذَلِكَ سُوءُ الْجَزَاءِ . »

ثُمَّ يُنْشِدُ :

« قَدْ حَدَّثْنَا أَصْدَقُ الْأَمْثَالِ فِيمَا مَقَى مِنَ الزَّمَانِ الْخَالِي
بَصِيرَةً تُرَوَّى عَنِ الصُّمُورِ أَبْصَرَ - فِي وَكْرٍ مِنَ الْوُكُورِ -
فَرَّخَ غُرَابٍ مُشْرِفًا عَلَى التَّلَفِ قَالَ لِلْفَرَّخِ : امْلِكْ ، لَا تَنْفَكْ
وَأَدَامَا الْفَرَّخُ ، وَدَاوَاهُ ، وَلَمْ يَزَلْ بِهِ ، حَتَّى شَفَاهُ مِنَ أَلَمِ
وَأَكْرَمَ الْأَبْنَاءِ وَالْيَسَالِ وَأَكْرَمَ الْأَبْنَاءِ وَالْيَسَالِ
حَتَّى إِذَا الْفَرَّخُ عَادَا غُرَابًا لَمْ يَرَ - غَيْرَ قَتْلِهِ - ثَوَابًا
وَأَهْلَكَ الْقُرَابُ مَنْ رَبَاهُ جَزَاهُ مَا قَدَّمَ مِنْ حُنَاهُ . »

فَصَحَّحَ « لِيرُ » مُتَعَجِّبًا : « وَمَاذَا تَنَبَّأَ بِهَذِهِ الْقِصَّةِ ، يَا بُهْلُولُ ؟ »
فَأَجَابَهُ ضَاحِكًا :
« أَرَأَيْكَ - يَا عَمَّ - فَعَلْتُ فِعْلَهُ - وَسَوْفَ تُجْزَى فِي الْحَيَاةِ مِثْلَهُ »
أَنْتَ شَبِيهُ ذَلِكَ الصُّمُورِ .
فَصَرَخَ « لِيرُ » بِتَوَعُّدِهِ بِالْوَيْلِ (الْعَذَابِ وَالْهَلَاكِ) ، إِذَا تَمَادَى
فِي دُعَائِهِ (مُزَاحٍ) . قَالَ « الْبُهْلُولُ » ضَاحِكًا :
« أُعْطِيكَ - إِنْ كَذَّبْتَنِي - طُرْطُورِي ! »

٧ - حَاشِيَةُ الْمَلِكِ

وَمَا أَسْرَعَ مَا تَحَقَّقَتْ فِرَاسَةُ « الْبُهْلُولِ » ؛ فَإِنَّ « جُنْرِيْلَ » :
تِلْكَ الْبَيْتَ الْخَفِيَّةَ الْمَآثِرَ (الَّتِي لَمْ تُرَاجَعْ حَقَّ الْأُبُوءِ) ، لَمْ تَشَأْ
أَنْ تُتْرَكَ أَبَاهَا بِقَضَى بَيْتِهِ حَيَاتِهِ وَادْعَا هَاشِمًا مُسْتَرْجِحَ الْقَلْبِ ،
وَأَبَى عَلَيْهَا حُبُّهَا وَلَوْمْ طَبَعَهَا إِلَّا أَنْ تُنْفَصَّ عَلَيْهِ عَيْشُهُ ، وَتُكْدَّرَ
عَلَيْهِ صَفْوُ حَيَاتِهِ . وَقَدْ اسْتَدْعَتْهُ إِلَيْهَا بَعْدَ أَيَّامٍ قَلِيلَةٍ ، ثُمَّ قَالَتْ لَهُ :
« لَقَدْ مَلَأَتْ حَاشِيَتُكَ - لِكثْرَةِ عَدَدِهَا - قَضْرِي ، وَأَصْبَحْتُ

لَا أُطِيقُ جَلْبَتَهُمْ وَصَوْنَهُمْ (أصواتهم العالية) بِدَ هَذَا الْيَوْمِ .
وَأَرَاكَ جَدِيرًا أَنْ تَتَخَيَّرَ نَخْبَةً (خَلَاصَةً) قَلِيلَةً - عَلَى نَفْسِ سِنِكَ
(فِي مِثْلِ عُمْرِكَ) - لِمُرَافَقَتِكَ ، إِنْ شِئْتَ .

٨ - دَعْوَةُ « لِير »

فَضَبَّ السَّلَكُ « لِير » مِمَّا قَالَتْهُ بِنْتُهُ ، وَقَالَ لَهَا :
« إِنْ حَاشَيْتِي جَمِيعًا مِنْ خَيْرِ النَّاسِ أَدَبًا وَمَعْرِفَةً ، وَلَيْسَ فِي أَسْتَطَاعَةِ
أَحَدٍ أَنْ يَتَّهِمَهُمْ بِمِثْلِ هَذِهِ التُّهْمَةِ الْكَاذِبَةِ .
ثُمَّ أَمَرَ الْمَلِكُ بِاسْتِدْفَاءِ حَيَاتِهِ (خَلِيلِهِ) وَإِسْرَاجِهَا ، مُعْتَزِمًا أَنْ
يُغَادِرَ بِنْتَهُ عَلَى الْقَوْرِ ، وَاتَّقَتْ إِلَيْهَا عَائِسًا ، وَقَالَ :
« لَمْ يَبْقَ فِي مَقْدُورِي أَنْ أَصِيرَ عَلَى هَذَا التَّجَنِّي (ادِّعَاءِ التُّهْمِ) ،
يَا « جُنْرِيْلُ » . وَإِنِّي لِأَحْمَدُ اللَّهَ عَلَى أَنْ رَزَقَنِي بِنْتًا أُخْرَى غَيْرِكَ ،
تُكْرِمُ وَفَادَى (قَدَّوْى عَلَيْهِا) ، وَتَحْدُرُ أَبْوَتِي لَهَا ، وَتَعْرِفُ مِنْ حَقِّي
عَلَيْهَا مَا أَنْكَرْتَهُ أَنْتِ ، أَيُّهَا الْعَاقَةُ الْبَاحِضَةُ .
ثُمَّ دَعَا عَلَى بِنْتِهِ « جُنْرِيْلُ » أَنْ يُصِيبَهَا اللَّهُ بِالْعَقَمِ ؛ فَلَا تَلِدْ

مَدَى حَيَاتِهَا ، أَوْ يَرْزُقَهَا بَشَرُ الْأَبْنَاءِ ؛ لِيَجْزِيَهَا مِثْلَ هَذَا الْجَزَاءِ
الْقَادِرِ ، وَأَنْ تَمُوتَ شَرًّا مِيتَةً .

٩ - دُعَاةُ « الْبُهْلُولِ »

وَحَشَى « الْبُهْلُولُ » أَنْ يَطْفِئَ الْحُزْنَ عَلَى قَلْبِ « لِير » ،
فَيُهْلِكَهُ ؛ فَجَرَى - عَلَى عَادَتِهِ - فِي مُدَاعَبَتِهِ (مُعَارَاجَتِهِ) ، وَرَاحَ
يُضَيِّعُهُ مُنْشِدًا :
« يَا لَيْتَ لِي - يَا نَعَمْ - طُرْطُورَيْنِ ! أُعْطِيكَ طُرْطُورًا مِنَ الْإِمْتِنَانِ
وَأَجْعَلُ الْآخَرَ نُصْبَ عَيْنِي .
قَالَ : « وَمَاذَا أَصْنَعُ بِطُرْطُورِكَ ، يَا « بُهْلُولُ » ؟ سَمَّيْتُهَا مِمَّا نُصِبَ
عَيْنُكَ (أَمَانًا) ! »
فَأَلْبَابُهُ ضَاحِكًا : « إِنْ بَنَيْتُكَ لَا تُعْطِيَانِكَ شَيْئًا لَوْ طَلَبْتُهُ .
وَمَا أَحَقَّكَ بِأَنْ تَرَوْى خَدَّيْكَ (تَبْلُغُهُمَا) بِدَمْعَتَيْنِ ، جَزَاءَ حَقِّكَ فِي
تُرُوكِكَ لَهَا عَنْ الْمَلِكِ . ثُمَّ أَتَتْهُ :
« أُلْطَبَةُ - إِنْ شِئْتَ - مِنَ الْبَنَاتِ ! أَلَسْتَ أَسْكَنْتَهُمَا نَصْرَيْنِ ؟

أَلَسْتَ أَعْطَيْتَهُمَا نَاجِيَيْنِ ؟ ثُمَّ وَهَبْتَ الْمَلِكَ ذُرِّيَّتَيْنِ ؟
فَالْيَوْمَ تَلْقَى أَوَّلَ النَّصِيحَيْنِ تَخْلِيكَ مِنْ بَيْتٍ مِنَ الْبَيْتَيْنِ
وَفِي عَهْدٍ تَنْقَى. يَطْرُدْنِي جَزَاءَ مَا أَخْطَأْتُ فِي حُكْمَتَيْنِ
إِنَّكَ قَدْ خُدِعْتَ خُدَعَتَيْنِ فَرَوْا خَدَيْكَ بِدَمْعَتَيْنِ
وَابْكِ عَلَى نَفْسِكَ مَرَّتَيْنِ .

قَالَ لَهُ « لَيْر » :

« مَا أَصْدَقَ مَا قَوْلُ ، أَيُّهَا الْمَجْنُونُ الْهَافِلُ ! وَلَكِنْ قَاتِ وَقْتُ
النَّدَمِ ، وَلَيْسَ لَنَا مِنْ حِيلَةٍ فِي رَدِّ مَا قَاتِ . عَلَى أَنْ بَنَيْتَ الثَّانِيَةَ
طَبِيعَةَ الْقَلْبِ ، وَلَنْ تَذْخِرَ (لَنْ تُنْقِى) وَشَعًا فِي إِشَادِي ، وَتَوْفِيرِ
جَالِيَاتِ الْبَهْجَةِ (أَسَابِ السُّرُورِ) لِي .
وَسَرِّبِكَ الْأَيَّامُ صِدْقَ مَا أَقُولُ . »

١٠ - عِنْدَ « رِيحَان »

واعتزَمَ الْمَلِكُ « لَيْر » أَنْ يَقْضِيَ بَعْدَهُ عُمُرَهُ فِي قَصْرِ بَنِيهِ
الثَّانِيَةِ « رِيحَان » ؛ فَبَهَتْ إِلَيْهَا رَسُولَهُ الْوَزِيرَ « كَنْت » ، بِكِتَابٍ

يُنَبِّئُهَا (يُخْبِرُهَا) فِيهِ بِمَا اعْتَرَمَهُ وَقَرَّرَهُ ، وَيَدْعُهَا بِالذَّهَابِ إِلَيْهَا بَعْدَ
وَقْتٍ قَلِيلٍ .

وَلَمْ يَكْذِبْ الْوَزِيرُ « كَنْت » بِنَبْلِ قَصْرِ « رِيحَان » ، وَيُقْضَى
إِلَيْهَا (يُخْبِرُهَا) بِمَا لَقِيَ أَبُوهَا الشَّيْخَ « لَيْر » مِنْ عُقُوبِ (إِنْكَارِ
لِحَقِّهِ) ، حَتَّى جَاءَ رَسُولٌ مِنْ أُنْحَثَا « جُرَيْل » ، وَأَسْلَمَهَا كِتَابَهَا
الَّذِي بَعَثَ بِهِ إِلَيْهَا ، تَوْصِيهَا بِأَيِّهَا شَرًّا ، وَتَوْفِيرُ صَدْرَهَا
(مُشِيرُ غَضَبِهَا) عَلَيْهِ ، وَتُدَبِّرُ لَهَا خُطَّةً خَبِيثَةً لِلْخُلَاصِ مِنْهُ وَمِنْ
أَتْبَاعِهِ وَسَاحِقَتِهِ .

١١ - حَبَسُ الْوَزِيرِ

وَمَا أَتَمَّتْ « رِيحَان » كِتَابَ أُخْتِهَا قِرَاءَةً حَتَّى أَغْلَقَتْ الْقَوْلَ
لِرَسُولِ أَيِّهَا . فَلَمَّا حَاطَ أَنْ يُدَكَّرَهَا بِمَا لِأَيِّهَا عَلَيْهَا مِنْ فُرُوضِ
وَحُقُوقِ ، تَارَتْ فِي وَجْهِهِ مُنْضَبَةٌ ، وَأَمَرَتْ بِجَنِّهِ فِي سِجْنِ مُظْلِمٍ ،
جَزَاءَ لَهُ عَلَى جُرْأَتِهِ .

١٢ - مَقْدَمُ « لِير »

وَبَعْدَ قَلِيلٍ مِنَ الزَّمَنِ قَدِمَ عَلَيْهَا الشَّيْخُ « لِير » . وَمَا عَلِمَ
أَنَّ رَسُولَهُ قَدْ سَجِنَ ، وَأَنَّ بِنْتَهُ « رِيحَان » هِيَ الَّتِي أَمَرَتْ بِحَبْسِهِ ،
حَتَّى زَادَ هِجَابَهُ ، وَاشْتَدَّ غَضَبُهُ عَلَيْهَا .
قَالَتْ لَهُ « رِيحَانُ » :

« خَفْتُ مِنْ سُخْطِكَ - أَيُّهَا الْوَالِدُ الشَّيْخُ - فَمَا أَظُنُّ أَنَّ
أُخْتِي قَدْ أَخْرَجَتْكَ مِنْ حَضْرَاهَا إِلَّا بَعْدَ أَنْ قَدْ صَبَرْنَا مِنْ لَجَاجَةِ
اتِّبَاعِكَ (تَخَاصُّمِهِمْ) وَصَحْبِهِمْ (صَنِيعَاتِهِمْ) ، وَضَاقَ ذَرْعُهَا
(صَبِرَتْ) بِمَا اقْتَرَفُوهُ (ارْتَكَبُوهُ) مِنْ شُرُورٍ وَأَثَامٍ .
وَهِيَ - بِإِلَاحَتِكَ - فِي سَقَمٍ مِنَ الْمَذَرِ ، لِأَنَّ قُصُورَ الْمُلُوكِ جَدِيرَةٌ
أَنْ تُنَزَّهَ (تُبْرَأَ وَتُخْلَصَ) مِنْ عَبَثِ الْمَائِسِينَ ، وَلَهُوَ الْهَازِرِينَ
(السَّاحِرِينَ فِي الْقَوْلِ) . »

١٣ - حُقُوقُ الْوَالِدَيْنِ

لَمْ يَسْتَطِعْ « لِير » أَنْ يُصَدِّقَ مَا سَمِعَهُ أَذُنَاهُ مِنْ بِنْتِهِ الثَّانِيَةِ ،

بَعْدَ مَا رَأَاهُ مِنْ عُقُوقِ بِنْتِهِ الْأُولَى ؛ فَخَيَّلَ إِلَيْهِ أَنَّهُ حَالِمٌ ،
وَكَادَ يُغْمَى عَلَيْهِ مِنْ قَرُطِ الْأَسَى وَالْحُزَنِ . وَلَكِنَّهُ لَمْ يَرَفَ فِي الْجَزَعِ
(شِدَّةِ الْحُزَنِ) فَائْتَدَى ؛ فَاعْتَصَمَ بِالصَّبْرِ (لَجَأَ إِلَيْهِ) - مَا وَسَّيَسَهُ حِلْمُهُ -
وَقَالَ لِبِنْتِهِ ، وَهُوَ يُفَالِبُ الدَّمْعَ جَاهِدَا :

« مَا أَظُنُّ أَنَّكَ - مَعَهَا عَقَقْتَ أَبَاكَ - بِاللَّهِ بَعْضَ مَا بَلَّغْتَهُ
أُخْتُكَ مِنْ جُحُودٍ وَعُقُوقٍ !

وَأَيُّ لَأْسَالٍ أَنْكَ أَقْرَبُ إِلَى الْبِرِّ بِأَيْدِكَ ، وَأَذْنِي إِلَى الْوَفَاءِ وَالْحَقِّ
عَلَيْهِ ، وَالْإِشْفَاقِ عَلَى شَيْخُوخَتِهِ . فَحَازِرِي أَنْ تَنْهَجِي نَهْجَ « جُبْرِيل »
(تَتَّبِعِي طَرِيقَهَا) ، فَتُخَيِّسِي تَأْمِيلَ أَيْدِكَ ، وَتَمْلِكِي قَلْبَهُ يَأْسًا ؛
بَعْدَ أَنْ وَهَبَ إِلَيْكَ أَثْمَنَ مَا يَمْلِكُ ، وَلَمْ يَهْنُ (لَمْ يَبْخُلْ) عَلَيْكَ
بِأَعَزِّ مَا لَدَيْهِ مِنْ مُلْكٍ وَجَاوِ وَمَالٍ . »

١٤ - مَقْدَمُ « جُبْرِيل »

وَمَا أَتَمَّ قَوْلَهُ ، حَتَّى قَدِمَتْ بِنْتُهُ « جُبْرِيلُ » ؛ فَانْقَضَتْ
إِلَى أُخْتِهَا « رِيحَان » ، وَظَلَّتْ تُوَعِّرُ صَدْرَهَا عَلَى أَيْمِهَا الشَّيْخَ ؛ حَتَّى

فَمَا عَلَيْهِ قَلْبُهَا رَءً أُخْرَى ، وَسَاوَتْ مَعَهَا فِي الْعُقُوقِ إِلَى
أَبْتَدِ مَدَى .

قَالَتْ « رِيحَانُ » : « لَقَدْ اسْتَكْرَمَتْ عَلَيْكَ أُخْتِي أَنْ تَكُونَ
حَاشِيَتِكَ مُؤَلَّفَةً مِنْ خَمْسِينَ فَارِسًا . أَمَّا أَنَا ، فَأَسْتَكْرِمُ عَلَيْكَ
نِصْفَ هَذَا الْمَدَدِ ، وَأَرَى أَنْ خَمْسَةً وَعِشْرِينَ فَارِسًا كَثِيرٌ
عَلَيْكَ . وَمَا أَدْرِي : مَا حَاجَةُ مِثْلِكَ - أَتَيْهَا الشَّيْخُ - إِلَى مِثْلِ
هَذَا الْمَدَدِ مِنَ الْحُرَّاسِ وَالْجُنْدِ ؟ بَلَى مَا حَاجَتُكَ إِلَى عَشْرَةِ
فُرْسَانٍ ؟ بَلَى إِنِّي لَأَسْتَكْرِمُ عَلَيْكَ خَمْسَةً !

سَدَّقَنِي إِنَّكَ لَنْ تَحْتَاجَ إِلَى فَارِسٍ وَاحِدٍ ، فَكَيْفَ يَجْمَعُ
مِنْ الْفُرْسَانِ ؟ إِنَّ خَدَمِي لَيُؤَدُّونَ لَكَ - أَتَيْهَا الشَّيْخُ - كُلَّ
مَا تُرِيدُ ؟ فَمَا انْتِفَاعُ مِثْلِكَ بِالْعَاشِيَةِ ؟ »

١٥ - غَضَبَةُ الشَّيْخِ

وَتَمَّ (هُنَا) أَذْرَكَ الشَّيْخُ « لِير » أَنَّ ابْنَتَهُ الثَّانِيَةَ لَيْسَتْ
أَبْرَأَ بِهِ مِنَ الْأُولَى ؛ فَاسْتَدَّ عَلَى بَنَتَيْهِ سُلْطَةً ، وَدَعَا عَلَيْهِمَا جَمِيعًا

أَنْ تَلْقِيَا الْجَزَاءَ الْوَادِلَ ، وَأَنْذَرَهُمَا بِسُوءِ الْمَصِيرِ .

وَلَا تَسَلْ عَمَّا اسْتَوَلَى عَلَى قَلْبِهِ مِنَ الْيَأْسِ ، بَعْدَ مَا تَبَيَّنَ
مِنْ عَذْرِ بَنَتَيْهِ مَا لَمْ يَكُنْ يَخْطُرُ لَهُ عَلَى بَالٍ ؛ فَصَاحَ مُتَأَلِّمًا
مَحْزُونًا : « أَخْرِجَا مَعِيَ رَسُولِي وَهَلُولِي ، وَلَنْ تَرَيَانِي بَعْدَ
الْيَوْمِ ! »

لِجَوَادِهِ الْيَنَانِ، وَقَدْ كَادَ الْيَأْسُ يُذْهِلُهُ، وَبَدَأَ عَلَيْهِ الْخَبَالُ (اِخْتِلَاطُ)
الْعَقْلِ)؛ فَلَمْ يُبَالِ الزَّمْهَرِيرَ (مُتْلُوعَ الْبَرْدِ أَصْبَاءً)، وَلَمْ يُفْنِقْ
عَلَى شَيْخُوخَتِهِ الْمُهْدَمَةِ، مُؤَثِّرًا (مُخْتَارًا) أَنْ يُهْلِكَ الْبَرْدُ، عَلَى
أَنْ تُذِلَّهُ بِنْتَاهُ.

وَوَظَّلَ مُتْلُوعُ بِذِرَاعَيْهِ فِي الْقَضَاءِ كَأَنَّمَا يَتَوَعَّدُهُمَا، وَبُيَسِّلُ رَأْسَهُ
إِلَى الْخَلْفِ، وَيَصْبِحُ مُنْضَبًا حَاقًا، حَتَّى لِيَحْسَبُ مَنْ يَرَاهُ أَنَّ بِهِ
مَسًّا مِنَ الْجُنُونِ. وَلَمْ يَنْقَ مَعَ الشَّيْخِ «لِير» - فِي مِغْنَتِهِ - غَيْرُ
صَاحِبِيهِ الْمُخْلِصِينَ: «كَنْتُ» وَ «الْبَهْلُولُ».

٢ - الْأَعاصِيرُ وَالرُّعُودُ

وَأَشْتَدَّتْ الرُّوْبَعَةُ عُنْفًا، وَتَحَدَّرَ الْمَطَرُ (سَقَطَ)، ثُمَّ هَمَى
(نَزَلَ بِكَثْرَةٍ) كَأَنَّهُ السَّيْلُ الْجَارِفُ، وَجَلَجَلَتِ الرُّعُودُ الْقَاصِفَةُ،
وَدَوَّتِ الرِّيَّاحُ الْعَاتِيَةُ (الْعَنِيْفَةُ)، وَخِيلَ إِلَى النَّاسِ أَنَّ الْبَرَكَاتِ
اقْتَبَرَتْ، وَأَنَّ الْكَوَاكِبَ انْتَشَرَتْ (تَسَاقَطَتْ)، وَأَنَّ الْبَحِيمَ
سَعَرَتْ (الْتَهَبَتْ). وَبَدَأَ ذَلِكَ الشَّيْخُ الْهِمُّ (الْهَرَمُ)، وَقَدْ قَفَّ

الفصل الثالث

١ - هُبُوبُ الْعَاصِفَةِ



كَانَتْ اللَّيْلَةُ عَاصِفَةً، قَارِسَةً (شَدِيدَةَ الْبَرْدِ). وَقَدْ أَذْرَكَ
الشَّيْخُ «لِير» أَنْ يَنْتَنِيهِ الْعَادِرَتَيْنِ قَدْ أَسْلَمَتْهُمَا إِلَى تِلْكَ الزَّوَالِمِ
الْثَّائِرَةِ، وَالْأَعَاصِيرِ الْهَائِجَةِ، دُونَ أَنْ تَأْخُذَهُمَا فِيهِ رَحْمَةً؛ فَأَسْلَمَ

شَمَرُهُ (وَقَفَ) ، وَتَقَوَّسَ ظَهْرُهُ ، وَانْحَنَتْ قَائِمَتُهُ الْمَدِيدَةُ ، بَعْدَ أَنْ
أَلَحَّتْ عَلَيْهِ جَالِيَاتُ الدَّمَارِ (مُسَبِّاتُ الْهَلَاكِ) ، وَعَصَفَتْ بِهِ
عاصِفَاتُ الْأَقْدَارِ .

٣ - نَشِيدُ الْعَاصِفَةِ

وَكَانَ الشَّيْخُ « لِير » يَصْرُخُ مُتَحِدِّيًا هَذِهِ الْقُوَى الْعَاتِيَةِ الْمُتَالِفَةِ
(الْمُتَجَمِّعَةِ) عَلَيْهِ ، مُصَيِّحًا صِيحَاتٍ مُفْرَعَةً هَائِلَةً ، وَهُوَ يَقُولُ :
« هِيَ أَيْتُهَا الرِّيحُ الْقَاسِيَةُ الْحَنِيفَةُ ، الَّتِي تَهْلِكُ الْعَدَائِنَ ، وَتُقْسِدُ
الْأَرْضِينَ : الْمُتَنَبِّطَةَ مِنْهَا ، وَالْمَمْلُوءَةَ أَحْجَارًا وَرِمَالًا ، وَالَّتِي
لَا زَرْعَ فِيهَا وَلَا نَبَاتَ . ثُمَّ أَنْزَلِي مَطَرَكَ ، يُحَلِّي الْأَنْبِيَةَ الْعَالِيَةَ ، وَيَغْرِقُ
الْأَرْضَى الْمَرْزُوعَةَ . » ثُمَّ يُنْشِدُ مُمَوَّعًا :

« زَوَابِعُ الْأَمْطَارِ : هِيَ مَعَ الْإِنْصَارِ
فِي اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ عَاصِفَةٌ مِنْ نَارِ
مَرْهُوبَةِ الدَّمَارِ تَأْتِي عَلَى الْإِنْصَارِ
وَالْتَهْلُ وَالْقِفَارِ

وَأَمْطِرِي نُلُومًا تَجْلُلُ الْبُرُوجَا
وَتَغْرِقُ الْعُرُوجَا .

وَتَشْدُ الْعَاصِفَةُ هُبُوبًا ، وَبَرَارُ الرَّغْدِ مُجَلِّجًا قَاصِفًا ، وَيَغْرِقُ
الْبَرَقُ ، يَكَادُ سَاهُ (ضَوْؤُهُ) يَخْطَفُ الْأَبْصَارَ ، وَيُوْهِمُ مَنْ يَرَاهُ
أَنَّ الْكُرَّةَ الْأَرْضِيَّةَ تَهْتَزُّ مِنْ أَقْطَارِهَا (جَوَانِبِهَا) ، وَأَنَّ الدُّنْيَا قَدْ
زُلْزِلَتْ زِلْزَالَهَا . فَيَشْدُ صِيَاعُ الشَّيْخِ ، وَهُوَ يَقُولُ : « دَوَى - أَيْتُهَا
الرِّيحُ - وَعَوَى ، وَدَمَّرِي بَيْتِي وَبَنِيَّ ، عَنَيْتُ (قَصَدْتُ) الدُّنْبَيْنِ .
ثُمَّ أَشْنِي (عُدِّي) إِلَيَّ ، فَأَمْطِرِي جِلْحَكَ النِّعَى (نَارَكَ الْمُوقَدَةَ) ،
كَلَامًا حَيَّنِيَّ (عَلَى قَدْرِهِمَا) ، فِي طَلْعِ الْحَسَنِ بِهَا . » ثُمَّ أُنْشَدَ :

« بَارِيحُ : دَوَى ، دَوَى وَيَا رُغُودَ الْجَوِّ :
لَا تَهْدِي ، وَعَوَى وَانْتَرِي حُسُوِي
وَأَخْرِقِي عُدُوِي

...

وَدَمَّرِي بَيْتِيَا وَأَهْلِي بَيْتِيَا
عَنَيْتُ : دُبَّيْتِيَا ثُمَّ أَشْنِي إِلَيَا

فَأَمْطَرِي عَلَيَا جَانِحِكَ . التَّيْبَا
جَزَاءَ خُدَعَتَيَا وَأَلْهِي جَنْبَيَا
صَفَاءَ حَيَاتَيَا .

ثُمَّ تَعَاوَدَهُ الذُّكْرَانُ الْمُؤَلِّمَةُ ، وَتَرَدَّدَ فِي سَمْعِهِ كَلِمَاتُ بِنْتَيْهِ
الَّتِي كَانَتَا تَمْلِقَانِيهِمَا - لَسْتَوُلِيَا عَلَيَّ مُلْكَكَ - وَمَيَّالٌ بَيْنَهُمَا وَبَيْنَ مَا رَأَى
مِنْ عَذْرَاهُمَا بِهِ ، وَاسْتِهَانَتُهُمَا بِخَطَرِهِ (قَدَرِهِ وَقِيَمَتِهِ) ! فَيَسْتَأْنِفُ
صِيَاحَهُ مُفْرَقًا ، وَقَوْلَ مُوَلُّوَلَا مُرَوَّعًا :
« لَقَدْ خَدَعَنِي مَا تَنَمَّتْ (مَا زَيْتَتْ) بِنْتَايَ مِنَ الْكَلَامِ ، وَقَدْ
دَهَانِي مَا دَهَانِي (أَصَابَنِي مَا أَصَابَنِي) ، جَزَاءَ مَا صَنَعْتُ فِي الْأَخْضَاعِ
بِهِمَا . قَلْبَابَتُهُمَا الرِّيَّاحُ : اسْتَدْعَى حَتَّى تَنْسِفِي (تُدْمِرِي) الشَّامِخَاتِ
(الْجِبَالِ الْعَالِيَةِ) . » ثُمَّ أَشَدَّ :

« لَيْلُ الَّذِي أَغْرَأَهُ مَا تَنَمَّتْ بِنْتَاهُ
دَهَاهُ مَا دَهَاهُ جَزَاءَ مَا أَصْنَعَاهُ
وَقَدَّمْتُ يَدَاهُ
دَوَى رِبَاكَا قَاصِفَةً وَأَلْهَيْهَا عَاصِفَةً
لِلشَّامِخَاتِ نَاسِفَةً . »

٤ - آلامُ الشَّيْخِ

وَهَكَذَا قَصَى الشَّيْخُ لَيْلَةَ مُرُوعَةٍ ، وَهُوَ هَائِمٌ عَلَى وَجْهِهِ ،
كَأَنَّهُ نِصْفُ مَجْنُونٍ ، مِمَّا لَحِقَهُ مِنَ الْآلَامِ الْمُبْرَحَةِ (الْمُضْنِيَةِ) ،
وَالْأَخْذَاتِ الْهَالِكَةِ .

وَلَقَدْ بَدَّلَ وَزِيرُهُ الْمُخْلِصُ « كُنْتُ » كُلَّ مَا فِي وَسْطِهِ ، لِلتَّرْفِيهِ
(لِلتَّخْفِيفِ) عَنْ مَلِكِهِ ، وَتَهْوِينِ مُصَابِهِ عَلَيْهِ ، مَا وَسَّعَتْهُ حِلَّتُهُ .
وَأَفْتَنَ « الْبُهْلُولُ » فِي ضَرْبِ الْأَمْثَالِ ؛ لِإِذْهَالِهِ عَنْ تَكَبُّبِهِ ، وَبُغْضِهِ مِنْ
هَوْلِ الْجُنُونِ الَّذِي أَوْشَكَ أَنْ يَحُلَّ بِهِ ، كَمَا تَوَسَّلَ إِلَيْهِ أَنْ يَقْبَلَ
رَجَاهُ ، فَيَأْوِيَ مَعَهُ إِلَى حُصْنٍ (يَنْتَحِ مِنْ الشَّجَرِ) قَرِيبٍ ، حَتَّى
تَنْتَهِيَ تِلْكَ الْعَوَاصِفُ الْهَوُجُ (النَّاتِرَةُ) .

وَمَا زَالَ بِهِ حَتَّى أَطَاعَهُ ، وَسَارَ مَعَهُ مِيْمَمًا (قَاصِدًا) ذَلِكَ
الْكُوْخَ ، وَهُوَ يُنَاجِي نَفْسَهُ مَحْزُونًا : « أَفِي هَذِهِ اللَّيْلَةِ تَطْرُدُنِي
بِنْتَايَ ؟ أَفِي هَذِهِ اللَّيْلَةِ تُفْلِقُ دُونِي أَبْوَابَهُمَا ؟
وَأَوْرِيكَ يَا رِيحَانُ ، وَتَبَا (هَلَاكَا) لَكَ يَا « جُنْرِيلُ » !

أَهَكُنَا نَجْزِيَانِ بِالْجُودِ أَبَاكَمَا الشَّقِيقَ ، الَّذِي وَهَبَكُمَا كُلَّ
مَا مَلَكَ ؟ إِنَّ عَاصِفَةَ الْجَوِّ — عَلَى قَتَوَيْهَا — لَأَهْوَنُ مِنْ هَذِهِ
الْعَاصِفَةِ الَّتِي أَثْرَمَتْهَا فِي نَفْسِ أَيْكُمَا ، بِمَا اسْتَلَفْتُمَا (قَدَّمْتُمَا) إِلَيْهِ
مِنْ جُودٍ وَعُقُوقٍ !

وَلَمَّا دَنَوْا مِنْ الْخَصِّ ، قَالَ التَّلَكُّ « لِيرِ » :

« إِنَّ أَحَقَّ الْأَشْيَاءِ لِيُصْبِحَ عَظِيمَ الْقَدْرِ ، جَلِيلَ الْخَطَرِ ، مَتَى
اسْتَدَّتْ إِلَيْهِ الْحَاجَةُ . فَلَا عَجَبَ إِذَا عَدَدْنَا (قَدَّرْنَا) الظَّفَرَ بِهَذَا
الْخَصِّ عُنْمًا كَبِيرًا ، فِي هَذِهِ اللَّيْلَةِ الْهَاتِلَةِ ! »
• — أَنْشُودَةُ « الْبُهْلُولِ »

وَاسْتَمَعَ التَّلَكُّ « لِيرِ » إِلَى صَوْتِ مُغْنٍ يَفْتَرِبُ مِنْهُ ؛ فَالْتَفَتَ ،
فَإِذَا بِهِ « الْبُهْلُولُ » ، يَظَاهَرُ بِالشَّرُورِ ، وَيَتَكَلَّفُ الْمَرَحَ (شِدَّةَ
الْفَرَحِ) ، وَيَلْتَفِتُ إِلَى مَوْلَاهُ مُنْشِدًا :

« قَسَمْتُ — بِالْأَنْسِ — مُلْكًا يَا « لِيرِ » ، أَظْلَمَ فِتْنَةً !
أَفْصَيْتُ كُلَّ عَلِيمٍ جَهْلًا ، وَأَنْكَرْتَ عِلْمَهُ
وَرُخْتَ تَدْنِي لَيْسًا بِالْمَدْحِ يَنْتَرُ لُؤْمَةً

يَا مُطْفِئُ النَّوْرِ : مَهْلًا ، شَرَيْتَ بِالنُّورِ ظُلْمَةً ! »
قَالَ الشَّيْخُ مَذْهُوبًا :

« نَعَمْ : لَقَدْ أَفْصَيْتُ (أَبْهَدْتُ) الْعَلِيمَ ، وَأَذَيْتُ (قَرَّبْتُ)
الْأَنْسِمَ . لَقَدْ أَحْسَنْتَ التَّحِيرَ عَمَّا كُنْتُ أَفْكُرُ فِيهِ الْآنَ ، وَصَدَقْتَ
فِي إِظْهَارِ مَا نَاجَيْتُ بِهِ نَفْسِي (مَا حَدَّثْتُهَا سِرًّا) فِي هَذِهِ اللَّحْظَةِ .
فَمَا أَبْرَعَكَ بِأَيْكَا وَمُغْنِيَا ، وَمَا أَنْظَرَكَ جَادًّا وَهَازِلًا ! »

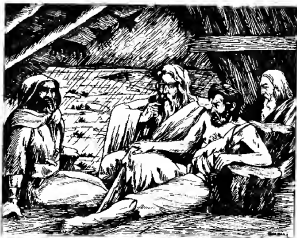
قَالَ « الْبُهْلُولُ » : « إِنِّي أَكْثَرُ النَّاسِ حِفْظًا لِمَهْدِكَ ، وَأَخْلَصَ
الْأَصْدَقَاءَ لَكَ . وَإِنِّي ذُو عَزْمٍ قَوِيٍّ ، وَهَيْئَةٍ عَظِيمَةٍ ، وَرَأْيٍ صَانِبٍ .
وَلَوْ تَرَكْتَنِي أَحْكُمُ وَأُبْرِمُ (أَجْعَلُ حُكْمِي نَافِذًا) ، لَبَسْتَ مُلْكَكَ
قِسْمَةً عَادِلَةً حَكِيمَةً . »

ثُمَّ اسْتَأْنَفَ « الْبُهْلُولُ » غِنَاهُ مُنْشِدًا :

« بُهْلُولُ » : مَجْنُونُ « لِيرِ » أَبْرُ عَنْدًا وَدِئَةً
أَوْقَى الْأَغْلَاءَ قَلْبًا وَأَصْدَقُ الصَّخْبِ عَزْمَةً
وَأَحْسَنُ الْقِسْمِ رَأْيًا وَأَبَدُ النَّاسِ هَيْئَةً
لَوْ كَانَ مَجْنُونُ « لِيرِ » بَقِيضِي ، وَبُرْمُ حُكْمَةٍ
لَكَانَ أَعْدَلُ فِتْنَةً مِنْهُ ، وَأَوْفَرُ حِكْمَةً

٧ - الأمير الوفي

وما استقرَّ بهم المقامُ ، حتى رأوا شيخًا يجوسُ خلالَ الصَّايةِ (بِمرِّ في طُرقاتِها) ، وفي يَدِهِ مِشْعَلٌ يُنِيرُ لَهُ طَرِيقَهُ فِي الظُّلَامِ الْعَالِكِ .



وما تبيَّن الوزيرُ « كُنت » ذلك الشيخَ القادمَ ، حتَّى عرَفَ أَنَّهُ الأميرُ « جُستَر » . فسأله عن سببِ مَقْدَمِهِ فِي تِلْكَ اللَّيْلَةِ الْهَائِلَةِ .

٦ - شيطان الغابة

وَلَمَّا بَلَغَ الْمَلِكُ وَرَفِيقَاهُ ذَلِكَ الْخَصْ ، أَسْرَعَ « الْبُهْلُولُ » إِلَى دُخُولِهِ لِتَزَادَهُ (لِتَسْرَفِهِ وَبِخَيْرِهِ) لِصَاحِبِهِ . وَمَا كَادَ يَفْعَلُ حَتَّى عَادَ إِلَيْهَا مُسْرِعًا ، وَهُوَ يَقُولُ :

« حَذَارِ أَثْمَانِ الرَّفِيقَانِ ، فَقَدْ رَأَيْتُ فِي ذَلِكَ الْخَصِ شَيْطَانًا مَرِيدًا (عَنِيدًا قَاسِيًا) . وَهُوَ يَزْعُمُ أَنَّ اسْمَهُ « تَوْم » ، وَيَلْقَبُ قَسَمَهُ بِالْمِسْكِينِ . وَلَقَدْ رَأَيْتُ عَلَيْهِ سِمَةَ الْخَبَالِ (عَلَامَةَ الْجُنُونِ) ؛ فَهُوَ مَخْبُولٌ إِنْ كَانَ إِنْسِيًّا (مِنْ النَّاسِ) ، وَإِذَا صَدَقَ حَدِيثِي (تَحْسِنِي) ، وَصَحَّ ظَنِّي ، فَمَا هُوَ إِلَّا شَيْطَانٌ هَذِهِ الْغَابَةِ . »

فَمَا خَرَجَ مِنَ الْخَصِ ذَلِكَ الشَّيْطَانُ الْمِسْكِينُ ، وَجَدُوهُ أَشْمَتَ أَغْبَرِ (مُتَلَبِّدِ الشَّعْرِ ، لَوْنُهُ كَلَوْنِ الْقُبَارِ) ، عَارِيَ الْجِسْمِ إِلَّا مِنْ أَشْمَالٍ بَالِيَةٍ (أَتَوَابٍ مُهْلَهَلَةٍ قَدِيمَةٍ) ، تَلَوُّعُ عَلَيْهِ أُمَارَاتُ الْبُؤْسِ . فَصَاحَ بِهِ الْمَلِكُ « لَيْلِ » : « مَاذَا بَكَ ، أَيُّهَا الشَّقِيُّ الْمِسْكِينُ ؟ هَلْ طَرَدَتْكَ ابْنَتَاكَ مِنْ بَيْتِكَ ، بَعْدَ أَنْ أَوْرَثْتَهُمَا إِيَّاهُ ؟ »

فَأَجَابَ الرَّجُلُ مُتَبَالِهًا ، مُتَنَابِيًا : « أَنَا : تَوْمُ الْمِسْكِينِ . فَهَلُمُّوا إِلَى بَيْتِي ، أَيُّهَا الرَّفَاقُ . »

فَقَالَ لَهُ : « لَقَدْ طَالَ بَحْنِي عَنِ الْمَلِكِ » لِير : « لِأَوِيَهُ (أَصِيفُهُ)
فِي بَيْتِ قَرِيبٍ مِنْ قَصْرِي ؛ حَتَّى لَا يَهْتَدِيَ إِلَيْهِ أَعْدَاؤُهُ الَّذِينَ
يَتَرَبَّصُونَ بِهِ (يَنْتَظِرُونَ لَهُ الشَّرَّ) . وَإِنِّي لَيَحْزُنُنِي مَا أَرَاهُ عَلَيْهِ
مِنْ أَمَارَاتِ الْخَبَالِ (عَلَامَاتِ ضَعْفِ الْفَعْلِ) . »

فَقَالَ لَهُ « كُنْتُ » : « لَقَدْ أَسْتَبَحَ الشَّيْخُ أَقْرَبَ إِنْسَانٍ إِلَى الْجُنُونِ . »
فَقَالَ الْأَمِيرُ : « إِنِّي نِصْفٌ مَا حَلَّ بِهِ مِنَ الْأَحْدَاثِ (الْمَصَائِبِ)
لَيْسَلُمُ الْمَاقِلَ إِلَى الْجُنُونِ . »

٨ - فِي بَيْتِ الْأَمِيرِ

وَبَعْدَ حِوَارٍ (حَدِيثٍ) طَوِيلٍ ، ذَهَبَ الْجَمِيعُ إِلَى الْكَيْتِ الرَّيْجِيِّ
الَّذِي أَعَدَّهُ الْأَمِيرُ لِمَسْكَنَاهُمْ قَرِيبًا مِنْ قَصْرِهِ . ثُمَّ تَرَكَهُمْ مُسَافِرِينَ
عَلَى أَنْ يَبُودَ إِلَيْهِمْ بَعْدَ قَلِيلٍ . وَجَلَسَ « لِير » مَعَ أَصْحَابِهِ ، وَقَدْ
عَادَ إِلَيْهِ خَبَالُهُ وَهَذْيَانُهُ ؛ فَمَثَلَ نَفْسَهُ قَاضِيًا يُحَاكِمُ بِنْتَتِهِ ، وَيَحْجِزُ بَيْنَهُمَا
بِمَا أَسْلَفْتَاهُ (قَدَمَتَاهُ) إِلَيْهِ مِنْ إِسَاءَةٍ وَعُقُوبٍ .

وَمَا زَالَ يَهْذِي حَتَّى خَارَتْ قُوَاهُ ، وَزَالَتْ رُشْدُهُ (فَارَقَهُ هُدَاهُ) ،
وَأَسْلَمَهُ الضَّنَى (سُوءُ الْحَالِ) وَالضَّعْفُ إِلَى نَوْمِهِ عَمِيقٍ .

الفصل الرابع

١ - الْأَمِيرُ « جُلَسْتَر »

أَيُّهَا الْقَارِئُ الْغَرِيرُ :

لَا حَكَّ فِي أَنَّكَ تُحِبُّ أَنْ تَعْرِفَ مَنْ هُوَ الْأَمِيرُ « جُلَسْتَر »
الَّذِي حَيَّ (اِهْتَمَّ) بِالْمَلِكِ « لِير » ، وَبَذَلَ لَهُ كُلَّ مَا فِي قُدْرَتِهِ مِنْ
رِعَايَةٍ وَإِكْرَامٍ . وَإِنِّي لَمُعَدُّكَ بِبَعْضِ حَدِيثِهِ الْمَحْزُونِ ؛ لِتَعْرِفَ
مَكَانَهُ مِنْ شُخُوصِ هَذِهِ الْقِصَّةِ الْخَالِفَةِ .

كَانَ الْأَمِيرُ « جُلَسْتَر » شَدِيدَ الْوَفَاءِ لِمَلِكِهِ « لِير » . وَقَدْ حَزَنَ
لِمَا أَصَابَهُ مِنْ نَكَبَاتٍ وَأَحْدَاثٍ ، وَبَكَى لِحُزْنِهِ (لِسَقَطَتِهِ) . وَلَمْ
يَكُنْ يَمْدُلُهُ (يُسَاوِيهِ) - فِي إِخْلَاصِهِ وَوَفَائِهِ لَهُ - غَيْرُ « كُنْتُ » :
الْوَزِيرِ ، وَ« كُرْدُولِيَا » : صُغْرَى بَنَاتِ الْمَلِكِ « لِير » .

٢ - وَلَدَا الْأَمِيرِ

وَكَانَ لِهَذَا الْأَمِيرِ الْمُخْلِصِ الْوَفَى وَلَدَانِ ، اسْمُ أَحَدَهُمَا : « إِدْجَار »
وَاسْمُ الثَّانِي : « إِدْمُنْد » . فَأَمَّا الْأَوَّلُ فَكَانَ مِثَالِ الْوَفَاءِ ، وَأَمَّا أَخُوهُ

فكان مثال الثَّقُوف . ولم يكن الثاني - عَلَى الْحَقِيقَةِ - وَلَهُ الْأَمِير
« جُلْشَر » ؛ وَلَكِنَّهُ كَانَ مُنْقِيبًا إِلَيْهِ ؛ لِأَنَّهُ تَبَنَاهُ (اتَّخَذَهُ ابْنًا)
- مُنْذُ نَشَأَتِهِ - وَجَعَلَهُ صِنُوًا (أَخًا) لِابْنِهِ « إِدْجَار » ، وَبَذَلَ لَهُ
كُلَّ مَا يَمْلِكُ مِنْ رِيعَايَةٍ وَتَهْذِيبٍ .

فلما كَبِرَ « إِدْمُنْدُ » ، نَبَى كُلَّ مَا حَبَاهُ بِهِ الْأَمِيرُ « جُلْشَر »
(مَا أَعْطَاهُ إِيَّاهُ) ، وَلَمْ يَكُنْ لَهُ عَرَضٌ يَسْمَى إِلَى تَحْقِيقِهِ ، غَيْرُ
الْوَشَايَةِ (السَّمِيِّ بِالنَّوْءِ) بِأَخِيهِ ، وَإِذَا صَدَرَ أَيْهِ (إِشْعَالُهُ غَيْظًا)
عَلَيْهِ ؛ لِيَسْتَأْتِرَ وَخَدَهُ بِكُلِّ شَيْءٍ .

٣ - فِرَارُ « إِدْجَار »

وَدَبَرَ ذَلِكَ الْوَلَدُ الْغَادِرُ : « إِدْمُنْدُ » ، مُؤَامَرَةً خَسِيسَةً لِإِصْهَاءِ
صَاحِبِهِ (إِبَادِهِ) عَنْ أَيْهِ ؛ فَأَوَّاهُمُ الْأَمِيرُ أَنَّ وَلَدَهُ « إِدْجَار »
يَأْتِمُرُ بِهِ (يُشَاوِرُ قَسَّةَ فِيهِ) ، لِيَقْتُلَهُ طَعْمًا فِي تَرْوَتِهِ الْعَظِيمَةِ ،
وَمَنْصِبِهِ الْخَطِيرِ . وَمَا زَالَ يُغْرِيبُهُ (يُطْلِمُهُ) وَيُؤَلِّبُهُ (يُبِيرُهُ) ،
حَتَّى أَقْبَهُ بِصِدْقٍ مَا افْتَرَاهُ (مَا اخْتَلَقَهُ) ، بَعْدَ أَنْ قَرَأَ عَلَيْهِ كِتَابًا

زُورُهُ وَعِزَاهُ (نَسَبُهُ) إِلَى أَخِيهِ . وَقَدْ أَطْلَحَتْ مُؤَامَرَتُهُ - بَعْدَ
قَلِيلٍ - فَهَرَبَ أَخُوهُ « إِدْجَار » ، فِرَارًا مِنْ سُخْطِ أَيْهِ الَّذِي تَوَعَّدُهُ
بِالْقَتْلِ ، دُونَ أَنْ يَرْفَعَ لِنُصْبِهِ سِيبًا .

وَمُنْذُ ذَلِكَ الْيَوْمِ ، تَرَمَّيَا « إِدْجَارُ » بِزَيِّ الْفُقَرَاءِ ، وَظَاهَرَ بِالْبَلَدِ
وَالْجُنُوتِ ، وَغَيْرٍ مِنْ هَيْئَتِهِ ، وَأَطْلَقَ عَلَى قَصْبِهِ اسْمَ : « تَوْمِ
الْمَسْكِينِ » ، الَّذِي قَالَ عَنْهُ « الْبُهْلُولُ » : « إِنَّهُ شَيْطَانُ النَّايَةِ . كَمَا
ذَكَرْتُهُ لَكَ ، فِيمَا قَصَصْتُهُ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْفَصْلِ السَّابِقِ .

٤ - مُسْتَأْذَارُ الْمَمْلَكَةِ

كَانَ « إِدْمُنْدُ » شَدِيدَ الطُّمُوحِ (عَظِيمَ الرَّغْبَةِ فِي الْكُلُوبِ) ،
وَكَانَ يَجْمَعُ - إِلَى دَهَائِهِ (مَكْرِهِ) وَذَكَائِهِ - مِنْ خُبْنِ الطَّيْعِ
وَلُؤْمِ الْفَسْرِ : مَا لَا يَخْطُرُ لِإِنْسَانِهِ عَلَى بَالٍ . وَقَدْ ابْتَهَجَ لِنَجَاحِهِ فِي
مُؤَامَرَتِهِ النَّحْسِيَةِ آتَى دَبْرَهَا لِإِصْهَاءِ أَخِيهِ ، وَأَغْرَاهُ (زَيَّنَ لَهُ)
ذَلِكَ الْقَوْرُ بِمُضَاعَفَةِ هَيْئَتِهِ ، لِتَحْقِيقِ غَايَتِهِ الْبِيدَةِ ؛ وَهِيَ ارْتِقَاءُ
الْعَرْشِ وَالظَّفَرِ (الْقُوَّةِ) بِالْمَلِكِ . وَقَدْ اسْتَوْلَتْ هَذِهِ النَّايَةُ عَلَيْهِ

وَمَلَكَتْ تَكْبِيرَهُ، وَامْتَزَجَتْ بِدَمِهِ، وَهَبَمَتْ (تَعَلَّبَتْ) عَلَى قَصِيهِ : فَاصْبَحَ لَا يُبَالِي أَقْرَافَ الشَّعْرِ وَالْأَنَامِ (ارْتِكَابَ الْقَبَاحِ وَالْجَرَائِمِ)، فِي سَبِيلِ بُلُوغِ أَهْمِيَّتِهِ .

وَلَمْ يَلْتَبَثْ أَنْ أَصْبَحَ مُسْتَشَارَ الْمَمْلَكَةِ كُلِّهَا، وَمَوْضِعَ رِقَّةِ الْأَخْيَينِ جَيْمًا . وَتَمَّ بَدَأُ يُوغُرُ صَدْرَ «جُرَيْلٍ» وَ«رِيحَانٍ» عَلَى أَيْمِهِمَا . وَمَا زَالَ يَرْسُمُ لِهَما الْخُطَّةَ لِلْخَلَّاصِ مِنْهُ، وَيُزَيِّنُ لِهَما ذَلِكَ، حَتَّى أَقْصَاهُ عَنْهُمَا، وَخَلَا الْجَوُّ لِذَلِكَ الْمُسْتَشَارِ الْمَارِكِرِ الْخَيْثِ .

٥ - الْجَاوِسُ

وَلَمْ يَصِفْ لَوْمْ طَوَيْتِهِ (خُبْتُ رَيْتَهُ) عِنْدَ هَذَا الْحَدِّ؛ فَرَّاحٌ يَقُولُ إِلَى بَنَاتِي «لَيْرَ»، أَخْبَارَ الْأَمِيرِ «جُلُوسَتَر»، الَّذِي تَبَنَاهُ وَتَهَمَّدَهُ مِنْدُ نَشَأَتِهِ، وَرَبَاهُ فِي حَدَاتِيهِ . وَلَمْ يَخْطُرْ بِبَالِ الْأَمِيرِ أَنَّ «إِدْمُنْدَ» - أَقْرَبَ النَّاسِ إِلَيْهِ، وَأَلْصَقَهُمْ بِهِ - يَتَجَسَّسُ أَخْبَارَهُ، وَيُخْصِي (يُمْدُ) عَلَيْهِ أَعْمَالَهُ، لِيَسْلُبَهَا أَعْدَاؤُهُ .

وَقَدْ عَرَفَ «إِدْمُنْدُ» - مِنْ مُحَادَثَةِ الْأَمِيرِ - أَنَّهُ يَتَعَزَّمُ التَّوَدُّعَ

إِلَى الْمَلِكِ «لَيْرَ»؛ لِيَبْصُرَ رَفِيقَهُ «كَتْ» بِمَا يَتَهَدَّدُ مَلِيكَهُ مِنْ أخطارٍ، وَيُوصِيَهُ بِالذَّهَابِ إِلَى «دُوفَرٍ»، حَيْثُ قُيِّمُ «كُرْدَلِيَا»؛ صُنْعِي بَنَاتِ «لَيْرَ»؛ لِيَقْضِيَ إِلَيْهَا (لِيُخْبِرَهَا) بِمَا لَقِيَهُ أَبُوهَا، وَمَا لَا يَزَالُ يَلْقَاهُ، مِنْ أَحْدَاثٍ وَخُطُوبٍ .

٦ - نَصِيحَةُ الْأَمِيرِ

وَلَمَّا خَرَجَ الْأَمِيرُ «جُلُوسَتَر» مِنْ قَصْرِهِ، عَائِدًا إِلَى «الدَّشْكِرَةِ» (الْقَرْيَةِ) الَّتِي أَوْدَعَ فِيهَا «لَيْرَ» وَأَصْحَابَهُ، أَفْضَى إِلَيْهِمْ بِمَا يُسَاوِرُهُ مِنْ قَلَقٍ عَلَى حَيَاةِ الْمَلِكِ . وَالْحَقُّ عَلَى الشَّيْخِ «لَيْرَ» فِي أَنْ يُسَافِرَ إِلَى «دُوفَرٍ»؛ حَيْثُ يَلْقَى - مِنْ رِعَايَةِ بَنْتِهِ الْبَارِقَةِ «كُرْدَلِيَا» وَعِنَايَتِهَا - مَا هُوَ خَلِيقٌ (جَدِيرٌ) بِهِ، وَزَوْدَهُ بِمَا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ مِنَ الْأَمَالِ . وَقَدْ أَدْرَكَ الْوَزِيرُ «كَتْ» مَا يَتَهَدَّدُ «لَيْرَ» مِنَ الْأخطارِ؛ فَاسْرَعَ إِلَى تَنْفِيذِ مَا أَوْصَاهُ بِهِ الْأَمِيرُ «جُلُوسَتَر» قَبْلَ قَوَاتِ الْفُرْصَةِ .

٧ - نَكْبَةُ الْأَمِيرِ

وما عادَ الْأَمِيرُ « جُلُسْتَر » إِلَى قَصْرِهِ ، حَتَّى قَبَضَتْ عَلَيْهِ « رِيحَانُ » وَزَوْجُهَا وَ « جُنْدِيلُ » أَثْنَهَا ، بَدَأَ أَنْ عَرَفُوا مِنْ « إِدْمُنْدَ » النَّعِثِ ، كُلَّ مَا أَشْدَاهُ (قَدَّمَهُ) الْأَمِيرُ إِلَى الْمَلِكِ « لِير » مِنْ صَنِيعِ مَشْكُورٍ .

وَاشْتَدَّ غَضَبُهُمْ عَلَى الْأَمِيرِ الْكَرِيمِ ؛ فَأَوْثَقُوا رِكَائِفَهُ ، وَصَفَدُوهُ (وَضَعُوهُ فِي الْقُبُودِ وَالْأَغْلَالِ) . وَتَادَرُوا فِي الْإِسَاءَةِ وَالتَّكْلِيفِ بِهِ (تَعَذُّبِهِ) وَشَتَبِهِ ، ثُمَّ تَنَفَّسُوا شِمَرَاتٍ مِنْ لِحْيَتِهِ . فَلَمَّا غَضِبَ وَثَارَ لِكِرَامَتِهِ ، وَذَكَرَهُمْ بِمَا هُوَ أَهْلٌ لَهُ مِنَ الرِّعَايَةِ ، زَادَتْ رِقَمَتُهُمْ عَلَيْهِ . فَصَدَّمَ إِلَيْهِ زَوْجُ « رِيحَانِ » ، وَأَخْرَجَ عَيْنَهُ : وَاحِدَةً بَعْدَ أُخْرَى ؛ فَصَرَخَ الْأَمِيرُ مُنَوَّنًا (مُسْتَنِيحًا) ، بَدَأَ أَنْ عَمِيَتْ عَيْنَاهُ . فَتَحَسَّسَ لِنُضْرَمَةِ أَحَدِ خَدَيْهِ ، وَطَمَنَ الْبَاقِي الْأَيْمَ طَمَعَةً قَاتِلَةً ، انْتِصَارًا لِمَوَلَاهُ ، وَانْصِبًا لَهُ مِنْ أَعْمَالِهِ . وَقَدْ لَقِيَ حَتْفَهُ (مَاتَ) ذَلِكَ الْخَادِمُ الشَّهْمُ فِي سَبِيلِ الْوَاجِبِ النَّبِيلِ .

أَمَّا الْأَمِيرُ « جُلُسْتَر » ، قَدْ أَلْقَوْا بِهِ خَارِجَ الْقَصْرِ ، دُونَ أَنْ تُذَكِّرَهُمْ شَفَقَةُ بِهِ ، وَلَا رَحْمَةُ عَلَيْهِ .

٨ - الزَّارِعُ وَالْأَمِيرُ

وَيَسْنِي الْأَمِيرُ خُطُوبَاتٍ قَلِيلَةً عَلَى غَيْرِ هُدًى ، فَيَلْقَاهُ شَيْخٌ فِي الثَّمَانِينَ مِنْ عُمُرِهِ ؛ فَيَسْأَلُهُ الشَّيْخُ مَخْزُونًا عَمَّا حَلَّ بِهِ مِنَ الْأَحْدَاثِ . فَيَرْجُوهُ الْأَمِيرُ أَنْ يَبْتَدِعَ عَنْهُ حَتَّى لَا يُصِيبَهُ مِنْ أَجْلِهِ سُوءٌ ، فَيَقُولُ لَهُ الشَّيْخُ :

« أَحْبَبْتُ بِكُلِّ مَا أَقَاهُ مِنْ أَدَى وَضُرِّ فِي سَبِيلِكَ ؛ قَدْ نَشَأْتُ فِي نِعْمَتِكَ ، وَعِشْتُ مِنْ غَلَّةِ الْأَرْضِ الَّتِي اسْتَأْجَرْتُهَا مِنْكَ وَمِنْ أَيْدِكَ . وَلَنْ أَنْرُوكَ وَحِيدًا ، بَدَأَ أَنْ صَدَدَتْ نُورَ عَيْنِكَ ، وَعَجَزَتْ عَنْ تَعْرِيفِ الطَّرِيقِ . »

فَقَالَ لَهُ « جُلُسْتَر » : « لَقَدْ تَعَثَّرْتُ فِي طَرَفِي حِينَ كُنْتُ أُبْصِرُ ، وَأَخْطَأْتُ فِي الْحُكْمِ عَلَى مَا رَأَيْتُ ، وَلَمْ تَصْنِعْنِي (لَمْ تَحْفَظْنِي) عَيْنَايَ مِنَ الْخَطَا . فَلَمَّا أَعُوذُ إِلَى الصُّوَابِ وَأَنَا أَعْمَى ، فَلَا أَنْسَرِعَ فِي الْحُكْمِ عَلَى مَا يُحِيطُ بِي مِنَ الْأَشْيَاءِ . »

قَالَ لَهُ الزَّارِعُ : « سَأُخْضِرُ لَهُ خَيْرَ مَا عِنْدِي مِنَ الثِّيَابِ . »

٩ - الأميرُ والمجنونُ

١٠ - حوارُ الأميرِ وولده

وسارَ الأميرُ معَ ولده « إدجار » ، الذي كانَ لا يزالُ يتظاهرُ أمامَ أبيه بأنه مجنونٌ ، حتى لا يَفْطَنَ إلى حَقِيقَتِهِ .

وسألهُ الأميرُ : « أَتَعْرِفُ الطريقَ - يا فَنَى - إلى « دوفر » ؟ »

قَالَ لَهُ : « أَغْرِفُ كُلَّ خَافِيَةٍ مِنْ خَوَافِيهَا ، وَلَا أَجْهَلُ شَيْئًا مِنْ

مَمَالِمِهَا وَمَجَاهِلِهَا . »

قَالَ لَهُ : « بِرَبِّكَ : سِرْ مَعِي حَتَّى تَبْلُغَ بِنِ الصَّخْرَةِ الْعَالِيَةِ الَّتِي

تُصَرِّفُ (تُطَلِّقُ) عَلَى الْبَحْرِ مِنْ قِمَّةِ الْجَبَلِ ؛ لِأَتَقِيَّ بِنَفْسِي مِنْ ذَلِكَ

الضَّلَوِ الشَّاقِيقِ ؛ فَأَخْلُصَ مِمَّا أَكْبَدُهُ مِنَ الْأَلَامِ الْمُبْرَحَةِ (الْمَوْجَةِ) .

وَحُذِّ هَذَا الْكَيْسَ بِمَا فِيهِ مِنْ مَالٍ ، مُكَافَأَةً لَكَ عَلَى ذَلِكَ . »

فَتَظَاهَرَ وَلَدُهُ بِطَاعَتِهِ ، وَمَا زَالَ يَسْتَشِي مَعَهُ حَتَّى بَلَغَ بِهِ

صَخْرَةً قَلِيلَةً الْإِرْتِفَاعِ فِي سَفْحِ الْجَبَلِ . قَالَ لَهُ : « مَا أَبْعَدَ هُنَا

الْقِمَّةَ الشَّاهِقَةَ عَنْ سَطْحِ الْبَحْرِ ! إِنْ لَأَرَى أَحَدَ الصَّيَّادِينَ وَهُوَ

وَلَقِيَهُمَا فِي طَرَفِهَا « تَوْمَ الْيَسْكِينِ » ، وَهُوَ يَتَظَاهَرُ بِالْمَجْنُونِ كَمَا دَتِهِ . وَلَمَّا الْآنَ قَدْ عَرَفْتُهُ ، بَدَأَ أَنْ أَشَقْتُ لَكَ الْقَوْلَ : إِنَّهُ « إدجارُ » وَلَدُ الْأَمِيرِ ، الَّذِي وَشَى بِهِ أَخُوهُ « إدْمُنْد » .

وَرَأَى الْوَلَدُ الْبَرَّ الْوَفَّى مَا أَصَابَ وَالِدَهُ مِنَ النَّكَبَاتِ ؛ فَضَاضَ

قَلْبُهُ نَوَاعَةً (حُرْقَةً) وَحُزْنَاً . وَلَكِنَّهُ آثَرَ (فَضَّلَ) التَّجَلُّدَ وَالصَّبْرَ ؛

حَتَّى لَا يَفْطَنَ أَبُوهُ إِلَى حَقِيقَةِ أَمْرِهِ . فَتَكَثَّفَ حِلَّتُهُ .

وَقَدْ أَلَحَّ الْأَمِيرُ عَلَى الشَّيْخِ الزَّارِعِ أَنْ يُسَلِّمَهُ إِلَى ذَلِكَ الْيَسْكِينِ .

قَالَ لَهُ الشَّيْخُ : « وَكَيْفَ أُسَلِّمُكَ إِلَى مَجْنُونٍ ؟ »

فَأَجَابَهُ الْأَمِيرُ : « لَقَدْ أَصْبَحَ مِنْ كُنَّا نَحْسَبُهُمْ عُمَلَاءَ ، خَادِعِينَ

مُضِلِّينَ فِي هَذِهِ الْأَيَّامِ الشُّدُورِ . وَلَمَّا أَجِدُ فِي هَذِي (فِي

رَأْيِ) مَنْ نَحْسَبُهُمْ مَجَانِبِينَ : خَيْرًا مِمَّا وَجَدْتُهُ فِي هَذِي أَوْلِيَّكَ

الْمُتَظَاهِرِينَ بِالتَّعَلُّقِ وَالْحِكْمَةِ . فَإِذَا شِئْتَ أَنْ تُسَدِّيَ إِلَيَّ جَمِيلًا (تَصْنَعُ)

مَعِيَ مَعْرُوفًا) ، فَأُخْضِرْ نِيَابًا لَتَكُونُ بِهَا ذَلِكَ الْعَارِي الْيَسْكِينِ . »

واقفٌ على الشاطئ؛ فيَحْبِلُ إِلَى - مِنْ قَرَطِ الثَّلَوِ - أَنَّهُ قَارَةٌ
صَغِيرَةٌ، وَأَرَى التَّرَاكِبَ الْكَبِيرَةَ؛ فَلَا أَكَادُ أَنْبِيَنَ رَسَمَهَا، لَمَرَطِ



ضَالَّتْهَا (شِدَّةَ صِرْعَها)، وَتَقَارَوْا أَحْجَابَهَا ! هَلَمْ - بِاسْتِدَى - فَاقْصِرْ
كَأَمْ تَرْيَدُ !

وَلَقَدْ حُبِلَ إِلَى الْأَمِيرِ أَنَّ مُحَدَّثَهُ صَادِقٌ فِيمَا يَقُولُ؛ فَهَفَزَ مِنْ
الصَّخْرَةِ إِلَى سَمْعِ الْجَبَلِ، دُونَ أَنْ يُصِيبَهُ سُوءٌ.

وَأَقْبَلَ وَلَدَهُ «إِدْجَارُ»، وَقَدْ غَيَّرَ مِنْ صَوْتِهِ، مُظَاهِرًا بِأَنَّهُ شَخْصٌ
آخَرُ؛ فَقَالَ لَهُ: «كَيْفَ هَوَيْتَ - يَا نَعَمْ - مِنْ ذَلِكَ الارتفاعِ
الشَّاهِقِ، دُونَ أَنْ يَدُقَّ عُنُقُكَ (مَكْسِرَ رَقَبَتِكَ)، وَتُسْحَقَ عِظَامُكَ؟»
فَتَجِبَ الْأَمِيرُ مِمَّا سَمِعَ، وَقَالَ لَهُ: «مِنْ أَيْ أَرْتَافِعَ هَوَيْتَ
(سَقَطْتُ)؟» فَأَجَابَهُ «إِدْجَارُ» مُظَاهِرًا بِالذَّهْنَةِ وَالْعَجَبِ:

«أَلَا تَعْرِفُ مَدَى الْهَوَاةِ النَّحْبَقَةِ (مُقْدَارِ الْحُفْرَةِ السَّيْقَةِ) الَّتِي
تَرَدُّنْتَ (سَقَطْتَ) فِيهَا؟ قَدْ رَأَيْتُكَ - مُنْذُ لَحْظَةٍ يَسِيرَةً - وَأَنْتَ
فِي جَانِبِ هَذَا الْجَبَلِ الشَّاهِقِ، وَمَعَكَ مَخْلُوقٌ عَجِيبٌ، تَبَدُّو عَيْنَاهُ
كَأَنَّهُمَا - لَشِدَّةِ اتِّسَاعِهِمَا - قَمَرَانِ مُسْتَدِيرَانِ، وَقَدْ حُبِلَ إِلَى أَنَّ
لَهُ أَلَمٌ وَجَعٌ. وَمَا أَشْكُ فِي أَنَّهُ شَيْطَانٌ مَرِيدٌ (خَائِثٌ). فَلْتَهْنَأْ
بِنَجَاتِكَ مِنْهُ، وَلْتَفَرَّحْ بِمَا ظَفِرْتَ بِهِ مِنَ السَّلَامَةِ؛ فَمَا أَشْكُ فِي أَنَّ
الْنَايَةَ الْإِلَهِيَّةَ تَصْحَبُكَ وَتَحْرُسُكَ.»

١١ - فِي الْحُقُولِ

وَلِإِنَّمَا لَيْسَ بِرِئَانٍ فِي الْحُقُولِ، إِذْ لَقِيَهُمَا الْمَلِكُ «لِيرُ»، وَقَدْ عَقَدَ

عَلَى رَأْسِهِ تَابًا مِنَ الْأُزْهَارِ الْبَرِّيَّةِ . فَلَمَّا حَيَّاهُ • إِذْ جَارُ • ، أَنشَأَ • لِرَبِّهِ
يَهْدِي وَيُجَنِّمُ أَفَاطِلًا لَا مَمْنَعَ لَهَا . فَعَرَّفَهُ الْأَمِيرُ • جُلَسَاءَهُ • - حِينَ سَمِعَ
سَمْعَهُ - وَسَأَلَهُ قَائِلًا : • تَرَى مِنْ أَرَى ؟ أَلَسْتَ الْمَلِكُ • لِرَبِّهِ • ؟



فَأَجَابَهُ : • لِيَنَّ كُلُّ جَارِحَةٍ مِنْ جَوَارِحِي (كُلُّ عُضْوٍ مِنْ أَعْضَائِي) ،
وَكُلُّ شَعْرَةٍ مِنْ شَعْرَاتِ جِسْمِي ، لَتَنْطَلِقُ سَارِحَةً مُجَدِّدَةً : أَنَّنِي



الملك « لير » ، أما أنت ، فما أظنك إلا ابني « جُربيل » ، برغم هذه
اللحمة البيضاء .

ثم استولى الحبال والهذيان عليه مرة أخرى . فحزن الأمير لما
حدث ، وهان عليه ما حلَّ به من أحداثٍ وخطوبٍ ، بعد أن رأى
ما بلغه الملك « لير » من سوء المآل (العاقبة) .

١٢ - عودة المخلصة

هذه توصفُ القارئةُ ، وسكنت الرُعودُ المدويةُ ، وقشعت
(زالت) السحبُ المتلبدةُ ، وظهرت السماءُ سافيةً بعد أن حجبتها
الغيومُ . وعادت البنتُ الوفيةُ « كُردليا » في جيشها العظيم ، لتنفذَ
أبها ما يُمانيه من الأحوالِ والكوارثِ . وكانت قد علمت من
الوزيرِ المخلصِ : « كنت » ، ما عاناه الشيخ « لير » من الخطوبِ
والمحنِ . فأخبرت زوجها : ملك « فرنسا » ، تلك القصةَ المفزعَةَ ؛
فلم يترددْ في إعدادِ جيشٍ كبيرٍ ، لتأديبِ أختينها الفارنتين ، والتسكيلِ
بهما (جعلهما نكالا وعبرةً) ؛ جزاء ما أسلفناه إلى أبيهما « لير » ،
من إساءةٍ وجحودٍ .

وما كان أسرعَ « كُردليا » : سُفرتِ البناتُ ، وأوقاهن عهدًا ،
وأكرمهن قسا ، إلى تجنُّعِ أبيها . بعدَ قادِرتٍ « دوفر » - من
قوتِها - وما زالت تجتدُ في سترها ، حتى وصلت إلى أبيها ، وهي
أشوق ما تكونُ إلى قائه ، وتتم يدبهُ (تحسبها) ، والإعتذارِ
له مِمَّا كابده (قاسه) من عُوقٍ بنقيهِ ، وما آتته على أيديهما من
إذلالٍ وقوانينٍ .

١٣ - نصيحة الطبيب

وما وصلت إليه ، حتى وجدته مُسترقًا في سُبَاتٍ (نوم)
عميقٍ . قال لها الطبيبُ : « أتأمرين - يا مولاي - أن أنبهه ؟ »
قالت له : « ليس لي أن آمرَ بما ليس لي به عِلْمٌ . فاضل ما يوجه
إليك طببك ، وقد ما تُشيرُ به عليك خبرُك وتجاربُك » .
قال الطبيبُ : « أرى أن نُوظفه على عزفِ الموسيقى ، بعد أن
نكسوه حلةً جديدةً (ثوبًا لم يُلبس) . ومتى استيقظ على الألحانِ
الشجيَّةِ (المطربة) ، كنتِ أولَمَ مِنِ براه : فلا يلبث أن يسود إليه

رُفْدُهُ الَّذِي أَوْشَكَ أَنْ يُخَارِقَهُ . وَإِنَّ فِي مُحَادَثَةِ جَلَالِكَ إِيَّاهُ ، لَدَوَاهُ
أَنْجَعَ (أَشْفَى) لَهُ مِنْ كُلِّ دَوَاهٍ .

١٤ - مُجَابَةُ « كُرْدِيَا »

قَالَتْ « كُرْدِيَا » : « اصْنَع - لِشِفَائِهِ - مَا تَشَاءُ ، وَابْذُلْ
فِي سَبِيلِ ذَلِكَ مَا تَسْتَطِيعُ ، بِإِطْلَاقٍ . »

وَلَمَّا عَرَفَتِ الْمَوْسِقَى ، دَبَّتِ الْبِقِظَةُ فِي نَفْسِ الْمَلِكِ خَيْثًا فَخَيْثًا ،
حَتَّى أَفَاقَ مِمَّا عَشِيهِ (مِمَّا أَصَابَهُ) ، وَاسْتَبَقَطَ مِنْ سُبَاتِهِ السَّبَقَ .

وَكَانَتْ « كُرْدِيَا » شَدِيدَةَ الْقَوَاعِي لِمَا أَصَابَ وَالِدَهَا الْكَرِيمَ
مِنْ هَوْلِ تِلْكَ النَّاصِفَةِ الْهَوَاجِ الَّتِي أَضْمَعَتْ جَسَدَهُ ، وَأَزْهَقَتْ

(انْتَمَتْ) أَغْصَابَهُ ؛ فَوَقَّتْ تَمَامُ وَجْهِهِ الْخَزِينَ ، وَتَوَاجَّاهِ
مُتَنَاعَةً (مُتَأَلِّمَةً) ، وَهِيَ تَقُولُ :

« أَهْكَذَا تَجْزِيكَ بِالْقَمُوقِ وَالتَّنْذِرِ بِنَشَاكِ ، جَزَاءَ مَا أَشْلَقْتَ
إِلَيْهَا بِالْغَيْرِ يَدَاكَ ؟ أَهْكَذَا تَبْلُغُ قَسْوَةَ الْقَلْبِ مِنْهَا أَنْ تُسْلِمَكَ

إِلَى الرَّبِيعِ الْعَاتِيَةِ ، وَالرُّعُودِ الْمُدَوِّيَةِ ؟ »

نُمُّ أَنْعَمَتِ النَّظَرَ فِي وَجْهِ الشَّيْخِ ، وَقَدَرِ اشْتَدَّتْ لَوْعَتُهَا وَحُزْنُهَا ،
قَالَتْ : « كَيْفَ رَضِينَا لِهَذَا الْوَجْهِ أَنْ يَتَعَرَّضَ لِأَهْوَالِ التَّوَاصِفِ
الْهَوَاجِ ، وَلَيْسَ عَلَيْهِ مِنْ غِطَاهُ بَقِيَّةٌ غَائِلَةٌ الْبَرْدِ (شِدَّتُهُ) عِوَضَ تِلْكَ
الشَّرَاتِ الْمُبِيعَةِ الرَّقِيقَةِ ؟ شَدَّ مَا كَابَدَتْ - يَا أَبَتِ - مِنْ الْهَوَالِ
وَالضَّرَرِ (الْمَرَضِ) . وَحَدَّ مَا أَسَاءْنَا ، أَيُّهَا الشَّيْقَانُ !

أَمَا لَوْ أَنَّ لِي عَدُوًّا لَدَوَا أَنْعَى بِإِذْنِ كُلِّ صَارِيَا حُقُودًا ، فَخَصَّنِي
دُونَ أَنْ أُسْلِفَ ابْنِي إِسَاءَةً ، نُمُّ لَقِمْتُ الْكَلْبَ الشَّرَّسَ فِي تِلْكَ
الْأَيَّامِ الْإِبِلَاءِ (الشَّدِيدَةِ الظُّلْمَةِ) ، وَقَدْ نُبِذَ بِالرَّاءِ (الْأَرْضِ الْخَالِيَةِ) ؛
لَا وَتَتُهُ فِي بَيْتِي وَأَذَانَهُ ، مُسَابِيَةً كُلَّ مَا أُشْلِفَ إِلَى مِنْ
أَذِيَّةٍ وَإِلَاحٍ .

فَكَيْفَ بَيْنَ وَهَبَ لَكُمْ مُلْكُهُ الْعَظِيمَ ، وَتَقَنَّ فِي بَرِّكُمْ ،
وَلَمْ يَدْخَرْ أَيْ وَسِيلَةً فِي سَبِيلِ إِسْلَاحِكُمْ ! أَهْكَذَا تَجْزِيَانِي ؟

أَيُّ أَلْفَاكُمَا الْمَذْبُوحَةِ الْخَادِعَةِ ، الَّتِي كُنْتُمْ تُسَلِّقَانِ بِهَا يَوْمَ
دَعَاكُمْ لِإِصْلَاحِ مُلْكِكُمْ ؟

قَدْ تَمَشَلْتُ (تَحَيَّلْتُ) مِنْ فُتُونِ عَذْرِكُمْ سُورًا وَأَلَوَانًا لَا تُحْصَى ،

قَالَتْ : « كَرْدَلِيَا » : « هَلْ عَرَفْتَنِي ، يَا مَوْلَايَ ؟ »

فَأَجَابَهَا : « أَنْتَ - بِلا شك - أَكْرَمُ رُوحَ مَلَائِكَتِي رَأَيْتُهُ فِي حَيَاتِي . فَخَبَّرَنِي بِرَبِّكَ - أَيُّهَا الرُّوحُ الطَّاهِرُ - فِي أَيْ وَقْتٍ حَلَّتْ بِكَ الْوَفَاةُ ؟ »

١٦ - جَوَارُهُ مَعَ « كَرْدَلِيَا »

فَلَمْ تَبَيِّنْ « كَرْدَلِيَا » مِنْ شِفَائِهِ ، وَأَقْبَلَتْ عَلَيْهِ تَوَسُّيَةً ، وَتَلَطَّفَتْ ، وَتَطَلَّبُ إِلَيْهِ أَنْ يُهْدِيَ مِنْ سَوَرَةٍ قَصِيهِ الْمُخْرُوجَةِ . قَالَ مَدْهُوْشًا :

« حَسْبُكَ أَيُّهَا الرُّوحُ الْمَلَائِكِيُّ ، حَسْبُكَ (كِفَاكَ) ! فَمَا أَدْرِي - مِمَّا يُحِيطُ بِي مِنْ هَذِهِ الْأَشْيَاءِ - شَيْئًا ، وَمَا أَعْرِفُ أَيْ تَوْبَ هَذَا الَّذِي أُرْتَدِيهِ ؟ وَلَا أَدْرِي مِنَ الَّذِي أَلْبَسْتَنِي ؟ وَلَوْ سَأَلْتُنُونِي - فِي هَذِهِ اللَّحْظَةِ - فِي أَيْ مَكَانٍ أَنَا ؟ لَمَا عَرَفْتُ لِإِوَالِكُمْ جَوَابًا . صَدَقَ - أَيُّهَا الرُّوحُ الْكَرِيمُ - أَتَنِي لَا أَعْرِفُ كَيْفَ قَضَيْتُ يَوْمَ أَمْسٍ ؟ وَلَا أَدْرِي أَنَا أَمْ يَعْظَانُ ؟ نَمَ لَا أَدْرِي أَحَى أَنَا ،

وَلَكِنَّ مَا تَكْشَفُ لِي مِنْ ضُرُوبِ الْقَسْوَةِ وَفُتُونِ الطَّمَعِ - مِنْكُمْ - قَدْ فَاقَ جَمِيعَ مَا تَمَثَّلْتُهُ ، وَأَزْبَنِي (زَادَ) عَلَى كُلِّ مَا ذَهَبَ إِلَيْهِ خَيَالِي ، مِنْ أَفَانِينَ الْمُقَوِّ وَالْإِسَاءَةِ (أَصْنَفِيهَا) . »

١٥ - بَقْلَةُ الشَّيْخِ

وَأَفَاقَ الشَّيْخُ « لِير » مِنْ سُبَاتِهِ الْعَمِيقِ ، فَأَقْبَلَتْ عَلَيْهِ ابْنَتُهُ الْوَفِيَّةُ « كَرْدَلِيَا » تَحِيَّةً قَائِلَةً :

« كَيْفَ أَصْبَحْتَ ، يَا صَاحِبَ الْجَلَالَةِ ؟ »
فَبَدَتْ الدَّعْشَةُ عَلَى وَجْهِهِ ، وَلَمْ يَعْرِفْ : أَيْ حُلْمٍ هُوَ أَمْ فِي بَقْلَةٍ ، ثُمَّ قَالَ مُتَحَبِّرًا :

« لِمَاذَا بَسْتُمُونِي مِنَ الْمَوْتِ ؟ وَلِمَاذَا أَخْرَجْتُمُونِي مِنْ ظُلُمَتِي الْقَبْرِ ، بَدَأْتُ أَنْ أَرَاهُنِي الْمَوْتُ مِنْ كَوَارِثِ الزَّمَنِ وَمَصَائِبِ الْحَيَاةِ ؟ »
ثُمَّ نَظَرَ إِلَى « كَرْدَلِيَا » مَدْهُوْلًا ، وَقَالَ : « وَأَنْتَ أَيُّهَا الرُّوحُ الْمَلَائِكِيُّ الْخَوْنُ ، خَبَّرَنِي : مِنْ أَيْ مَكَانٍ مِنْ عُليا السَّمَاوَاتِ نَزَلْتَ ؟ وَكَيْفَ حَلَّتْ هَذَا الْوَادِي ؟ وَلِأَيِّ غَايَةٍ جِئْتَ ؟ »

أَمْ مَيِّتٌ ؟ وَلَوْ طَلَّوْعَتُ نَاسِي ، وَأَنْفَضْتُ بِمَا أُمِيرُهُ ، لَعَجِبُونِي
مَخْبُولا أَوْ مَعْتَوْها ! إِنِّي لَأَتَمَثَّلُ فِي هَذَا الرُّوحِ الْمَلَأَيْكِي صُورَةً
بِنَبِيِّ الْوَقْتِ « كَرْدَلِيَا » . فَلَا يَسْخَرَنَّ مِنْ هَذَا الْوَقْتِ أَحَدٌ ؛ فَإِنِّي
أَعْتَقِدُ أَنَّنِي لَا أَزَالُ عَلَى قَيْدِ الْحَيَاةِ ، كَمَا أَعْتَقِدُ أَنَّ هَذَا الرُّوحَ الْمَائِلَ
أَمَامِي هُوَ « كَرْدَلِيَا » بِنْتِي .

قَالَتْ « كَرْدَلِيَا » بَاكِئَةً :

« مَا أَصْدَقَ فِرَاسَتَكَ (إِسَابَةَ ظَنِّكَ) ، وَأَصَحَّ رَأْيِكَ ، أَيُّهَا

الْوَالِدُ الْكَرِيمُ ! »

قَالَ لَهَا مُتَأَلِّمًا : « لِيَاذَا تَبَكَّيْنِ ، أَيُّهَا الْبَارَّةُ الْمُحْسِنَةُ ؟ أَأَنْتِ
تَعْزَيْنِي لِمَا أَصَابَنِي ، بَدَأَ أَنْ أَسْلَفْتُ إِلَيْكَ مِنَ الْإِسَاءَةِ مَا أَسْلَفْتُ ؟
أَكْذَلِكَ تَجْزِينِي إِحْسَانًا بِإِسَاءَةٍ ، عَلَى حِينٍ قَدْ جَزَيْتَنِي أَخْطَاكِ
إِسَاءَةً بِإِحْسَانٍ ؟ أَمَّا لَوْ أَنَّكَ أَنْكَرْتَنِي — كَمَا أَنْكَرْتَنِي أَخْطَاكِ —
لَكُنْتُ فِي سَعَةِ مِنَ التَّذَرُّبِ » . قَالَتْ لَهُ :

« بِرَبِّكَ لَا تَنْسَلِمَ لِأَخْزَانِكَ — يَا أَبَتِ — فَإِنَّ ذَلِكَ يَبْلَأُ

نَاسِي هَمًّا وَلَوْعَةً . هَلَمْ يَا أَبَتِ ، فَلْنِ تَرَى إِلَّا مَا يَسُرُّكَ . »

١٧ - اعْتِفَارُ النَّادِمِ

قَالَ لَهَا : « قَدْ أَسَأْتُ إِلَيْكَ أَبْلَغَ إِسَاءَةٍ ، وَمَا أَجْدَرَنِي أَنْ أَطْلُبَ
إِلَيْكَ الصَّفْحَ وَالْفُرَانَ (الْمُسَامَحَةَ وَالْمَغْفِرَةَ) . فَجَاوِزِي (اصْفَحِي)
— أَيُّهَا الْكَرِيمَةُ — عَمَّا قَدَّمْتُ يَدَايَ . »

قَالَتْ لَهُ : « إِنِّي بِنْتُكَ الْمُؤْتَمِرَةُ بِأَمْرِكَ ، الْمُسَبِّحَةُ لِإِشْرَافِكَ ،
فَلَا يَحْزُنُكَ شَيْءٌ بَدَ الْيَوْمِ . أَمَّا أَنَا فَلَسْتُ إِلَّا خَادِمَةً وَفِيَّةً لَكَ
مَدَى الْحَيَاةِ . »

وَعَمَّ أَذْرَكَ الْمَلِكُ « لِيَوْمِ » — نَيْشَا (بَعْدَ قَوَاتِ الْوَقْتِ) — بِمِقْدَارِ
وَقَاهُ بِنْتُهُ « كَرْدَلِيَا » ، وَعَرَفَ مَدَى خَطِيئِهِ حِينَ صَدَّقَ مَا كَانَتْ
رَوَّوْهُ بِنْتَاهُ ، مِنْ كَاذِبِ الْقَفْطِ ، وَخَائِلِ الْفَنَاءِ (خَادِعِ الْمَدْحِ) .

٢ - الخيابة الثلاثة

سَمَّيْنَا الْقَوُورَ لِخِيَابَةِ الثَّلَاثَةِ ، أَلَيْسَ : « جُرَيْل » وَ « رِيحَان » وَ « شَرَاهَا » إِذْ مَنَدَ ، الَّذِي قَادَ الْجَيْشَ ، وَأَخْرَجَ النَّصْرَ ، فَكَانَ ذَلِكَ الْقَوُورُ شَرًّا - عَلَى أُولَئِكَ الصَّالِحِينَ - مِنْ كُلِّ هَزِيمَةٍ . وَسَقَرَى - أَيُّهَا الْقَارِي الْمَرْزُوقُ - فِيمَا بَقِيَ مِنْ حَوَادِثِ الْقَصَّةِ الْمُعْزِرَةِ وَأَوْبَانِهَا الرَّاعِبَةِ (الْمُخِيفَةِ) ، مُصْداقَ مَا حَدَّثْتُكَ بِهِ (بَرَاهَانِ صِدْقِهِ) !

٣ - بين « أَلْبَانِي » وَ « إِذْ مَنَدَ »

لَقَدْ حَبِيبٌ « إِذْ مَنَدَ » - مَعْنَى : سَمَّيْنَا - لِهَذَا الْقَوُورِ فِي ذَلِكَ الْمَعْرَكَةِ الْحَاسِمَةِ (الْقَاطِعَةِ) - أَنَّهُ قَدْ أَدْرَكَ أَرْبَعَةَ (مَقْطَعَةً) ، وَظَفَرَ بِأَمْسِيَّتِهِ فِي أَرْقَاءِ عَرْشِ الْمَمْلُوكِ ، بَعْدَ أَنْ خَلَا الْجَيْشُ مِنْ كُلِّ مُتَافِسٍ لَهُ فِي الثَّلَاثِ ، وَلَمْ يَبْقَ أَمَامَهُ أَحَدٌ يَخْشَى بِأَسْئَةِ غَيْرِ الْأَمِيرِ « أَلْبَانِي » زَوْجَ « جُرَيْل » .

وَكَانَ ذَلِكَ الْأَمِيرُ طَلِبَ الْقَلْبِ ، فَلَمْ يَرْضَ عَنْ شَيْءٍ مِنْهَا اقْتَرَفَهُ

الفصل الخامس

١ - هَزِيمَةُ « كَرْدَلِيَا »

مَا كَانَ لِيَدُورَ بِخَلْدِ الْمَلِكِ « لِير » - حِينَ أَسْنَى إِلَى تَمْلِيْقٍ يَنْتَبِهَ الْخَادِعَتَيْنِ ، وَعَقَّ نَصِيحَةَ وَزِيرِهِ الْمَخْلُصِ « كَشْت » - أَنَّ أَهْلَاثَ الدَّهْرِ وَمَصَائِبَهُ سَتَجْتَمِعُ مُتَوَالِيَةً ، مَثَالِبُهُ عَلَيْهِ ، لِلتَّشْكِيلِ بِهِ مَسْرِفَةً فِي مَقَابِيهِ عَلَى خَطِّهِ ؛ فَلَا تَلُوحُ بَارِقَةٌ (نُورٌ) مِنَ الْأُمَلِّ ، حَتَّى يَمُوتَ بِأَلْبَلٍ دَاجٍ (شَدِيدُ السَّوَادِ) ، مِنْ الْيَأْسِ الْمَمِيتِ !

لَقَدْ اتَّقَى الْجَيْشَانِ ، وَكَانَ الْأُمَلُّ مَقْشُودًا عَلَى نُصْرِهِ « كَرْدَلِيَا » ، وَهَزِيمَةُ جَيْشِ أُخْتَيْهَا الْفَادِرَتَيْنِ ، وَانْدِحَارُهُ (انْكَسَارُهُ) . وَلَكِنْ شَوْهَ حَطِّ الشَّيْخِ « لِير » قَدْ حَبَّبَ هَذَا الْأُمَلُّ الْبَاسِمَ الْمَشْرِقَ ؛ فَاهْزَمَ جَيْشُ « كَرْدَلِيَا » أَسْنَحَ هَزِيمَةً ، وَانْتَصَرَ عَلَيْهِ جَيْشُ « جُرَيْل » وَ « رِيحَان » ، وَانْتَهَتْ الْمَعْرَكَةُ بِأَسْرِ « كَرْدَلِيَا » وَأَيُّهَا ، وَإِدَاعِهَاا الشُّجْنَ بَعْدَ أَنْ غُلِبَ جَيْشُهُمَا عَلَى أَمْرِهِ .

(أَرْتَكَبَهُ) الْخُبَاءُ الثَّلَاثَةُ مِنَ الْأَوْزَارِ وَالْآثَامِ (الذُّنُوبِ وَالْجَرَائِمِ).
وَأَصْرُ الْأَمِيرِ «أَلْبَانِي» عَلَى إِطْلَاقِ سَرَّاحٍ «كُرْدِيَا» وَأَيُّهَا مِنْ
إِسَارِهَا، كَمَا أَصْرُ «إِذْمُنْدُ» عَلَى حَبِيبِهَا. وَدَارَتْ مُنَاقَشَةٌ عَنِيفَةٌ
بَيْنَهُمَا، وَانْتَصَرَتْ الْأَخْثَانِ لِشِشَارِهَا الْخَبِيثِ. وَعَظِيبُ الْأَمِيرِ
«أَلْبَانِي»؛ فَدَعَاهُ لِمُبَارَاةٍ (الْمُضَارَبَةِ بِالسَّيْفِ).

٤ - بَيْنَ «إِذْمُنْدُ» وَ«إِذْجَارُ»

وَجَاءَ - فِي هَذِهِ اللَّحْظَةِ - «إِذْجَارُ»؛ ابْنُ الْأَمِيرِ «جُلُشْتَرُ»؛
فَدَعَا أَخَاهُ «إِذْمُنْدُ» إِلَى زِيَارَتِهِ (مُبَارَاةٍ) قَاتِلًا:
«هَلُمَّ أَتَيْهَا الْقَائِدُ الْعَظِيمُ، فَانْتَشَقَّ حُسَامَكَ (اشْهَرَّ سَيْفَكَ)،
وَاكْتُبْ آخِرَ صَفْحَةٍ فِي تَارِيخِ حَيَاتِكَ الْمَمْلُوءَةِ بِالشُّرُورِ وَالْأَرْجَاسِ
(الْخَطَالِبِ) وَالذَّلَالِ. هَلُمَّ فَانْتَقِمْ لِشَرِّكَ مِنْ يَزْمِيكَ بِكُلِّ مُخْرِجَةٍ،
وَنَتْمِكَ بِكُلِّ نَقِصَةٍ. هَلُمَّ إِلَى: فَرَوْ (اسْقِ) رُمُوحَكَ مِنْ دِمِي
إِنْ اسْتَنْطَفَتْ، كَلَمَكَ تَفْصِيلُ مَا لَحِقَكَ مِنَ الْإِهَانَةِ الَّتِي لَوْنَتْ بِهَا
شَرَّفَكَ الرَّفِيعَ. فَإِنْ عَجِزْتَ عَنْ ذَلِكَ، فَلَنْ يُعْجِزَنِي قَتْلُكَ!»

صَلَحَ فِيهِ «إِذْمُنْدُ»: «إِنَّمَا جَاءَ بِكَ إِلَى خَيْتِكَ (انْقِضَاءِ
أَجَلِكَ). وَلَنْ جَهِلْتُ مَنْ أَنْتَ، هَذَا عَلِمْتُ أَنَّكَ رَجُلٌ سَاقَتُهُ
حِمَاقَتُهُ إِلَى الرَّدَى، وَأَسْلَمَتْهُ أَجَلُهُ إِلَى الْهَلَاكِ. وَلَنْ سَنِي هَذَا
لِكَفْمِلٍ بِتَأْدِيبِ أَشْنَاكَ، وَالتَّنْكِيلِ بِكَ، وَجَمْعِكَ عِزَّةً لِكُلِّ
مَنْ يَعْتَبِرُ.»

وَمَا أَتَمَّ وَعِيدُهُ حَتَّى بَدَأَ هُجُومَهُ عَلَى مُنَازِلِهِ (خَصْمِهِ)،
وَدَارَتْ رَحَى الْقِتَالِ بَيْنَهُمَا، وَأَشْدَّ صِرَاعُهُمَا، وَسُرْعَانَ مَا عَاجَلَهُ
«إِذْجَارُ» بِطُعْنَةٍ قَاتِلَةٍ؛ فَهَوَى «إِذْمُنْدُ» إِلَى الْأَرْضِ مُجَدِّلاً
(صَرِيحاً)، يَتَعَثَّرُ (يَتَخَبَّطُ) فِي دِمِيهِ. وَأَسْتَوَى الدَّهْشُ عَلَى الْعَاصِرِينَ،
وَعَقَدَ الذُّهُولُ أَلْسِنَتَهُمْ؛ فَلَمْ يَذَرُوا مَا يَفْعَلُونَ.

٥ - مَصَارِعُ الْخُبَاءِ الثَّلَاثَةِ

وَلَمَّا سَقَطَ «إِذْمُنْدُ»، صَاحَتْ «رِيحَانُ» مُفْرَعَةً، تَتَلَوَّى
مِنْ فَرْطِ الْأَلَمِ، نَمَّ أَعْمَى عَلَيْهَا؛ فَوَقَعَتْ - مِنْ قُوَرِّهَا -
جُثَّةً هَائِدَةً.

أَتَدْرِي - أَيُّهَا الْقَارِئُ الْعَزِيزُ - بَأَى شَيْءٍ قُتِلَتْ « رِيحَانُ » ؟
 بِالسَّمِّ قُتِلَتْهَا « جُنْرِيلُ » ؛ لَيْسَتْ أَرَبَ بِالْمُلْكِ وَحْدَهَا ! وَلَكِنْ أَمَلَهَا
 قَدْ خَابَ ، حِينَ رَأَتْ قُوَّةَ « إِدْجَارَ » ، وَانْتِصَارَهُ عَلَى مُسْتَشَارِهَا
 « إِدْمُنْدُ » ، الَّذِي نَاطَلَتْ (عَلَّقَتْ) بِهِ كُلَّ أَمَالِهَا فِي التَّفَرُّدِ بِالْمُلْكِ ،
 وَالِاسْتِثْنَاءِ بِالسُّلْطَانِ ! فَمَا جَلَّتْ نَفْسُهَا بِطَعْنَةِ قَاتِلَةٍ ، أَوْدَتْ بِهَا
 (أَهْلَكَتْهَا) ، وَمَضَتْ بِرُوحِهَا إِلَى الْجَحِيمِ .

وَرَأَى « إِدْمُنْدُ » أَنْ كُلَّ مَا بَنَاهُ - بِالنَّذْرِ وَالْعُقُوبِ وَالْإِسَاءَةِ إِلَى
 أَقْرَبِ النَّاسِ وَأَبْرَهَمَ بِهِ - قَدْ انْهَارَ (سَقَطَ) أَمَانَتُهُ فِي لَحْظَةٍ وَاحِدَةٍ ؛
 فَصَاحَ مُسْتَحْطِلًا قَاتِلَهُ :

« حَبْرَنِي بِرَبِّكَ : مَنْ أَنْتَ ! لِأَعْرِفَ اسْمَ مَنْ كُتِبَ عَلَى يَدَيْهِ
 مَضْرَعِي ؟ »

فَاجَابَهُ « إِدْجَارُ » :

« أَنَا ابْنُ مَنْ كَانَتْ إِحْسَانُهُ إِلَيْكَ ، وَرَبُّهُ بِكَ ، وَزَيْنَتُهُ
 إِلَيْكَ ، أَنْفِجْ مُكَافَأَتِي . أَنَا ابْنُ الْأَمِيرِ « جِلْسَرِ » ، الَّذِي تَبَنَّاكَ ؛
 فَأَعْرِيتَ بِهِ أَعْدَاءَهُ ، وَمَكَّنْتَ لَهُمْ مِنَ التَّنْكِيلِ بِهِ ؛ حَتَّى حَرَمُوهُ

نُورَ عَيْنَيْهِ . وَقَدْ مَاتَ - مُنْذُ دَقَائِقَ - مِنْ هَوْلٍ مَا رَأَى مِنْ
 الْمَصَائِبِ وَالْأَحْدَاثِ . »

٦ - تَوْبَةُ الْهَالِكِ

صَاحَ « إِدْمُنْدُ » مُضْجَعًا :

« مَا أَصْدَقَ مَا قَالَتْ بِهِ شَفَتَاكَ ! لَقَدْ حَقَّ عَلَى الشَّعَاءِ ، وَلَقِيتُ
 مَا أَنَا أَهْلُهُ لَهُ مِنْ التَّنْكِيلِ وَالْجَزَاءِ ، وَحَاقَتْ عَلَيَّ اللَّعْنَةُ إِلَى الْأَبَدِ .
 وَلَكِنِّي أَوْسَلُ إِلَيْكَ ضَارِعًا أَنْ تُسْرِعَ بِبُجْدَةٍ « لِيرَ » وَبِنْتِهِ
 « كُرْدُونِيَا » ؛ فَقَدْ أَصْدَرْتُ أَمْرِي بِقَتْلِهِمَا فِي سِجْنِهِمَا خُلْسَةً (خَفِيَةً) ،
 قَبْلَ أَنْ أَشْتِكَ مَعَكَ فِي هَذِهِ الْمُفْرَكَةِ الْقَاضِيَةِ : لَعَلِّي أُكْفِّرُ

- بِإِثْمَاهُمَا - عَنْ شَيْءٍ يَسِيرٍ مِمَّا أَفْتَرَنْتُ مِنَ الْغَطَايَا وَالْآثَامِ الْمُؤَيَّدَةِ
 (الْمُهْلَكَةِ) ! هَلُمَّ فَأَقْضِهُمَا قَبْلَ أَنْ يَحُلَّ بِهِمَا الْهَلَاكُ . »

ثُمَّ أَعْيَى عَلَيْهِ ، وَأَسْلَمَتْهُ جِرَاحُهُ إِلَى الرَّدَى (الموت) ؛ فَفَقَى
 مُشِيْعًا (مُودَعًا) بِاللَّعْنَاتِ ، كَمَا شِيعَتْ « جُنْرِيلُ » وَ « رِيحَانُ » .

٧ - مَصْرَعُ « كُرْدِلِيَا »

وَلَقَدْ بَذَلَ الْحَاضِرُونَ كُلُّ مَا فِي مَقْدُورِهِمْ ، فَأَسْرَعُوا لِإِقَادِ
الْأَسِيرِينَ . وَلَكِنْ سُرِعَتْهُمْ لَمْ تُغْنِ شَيْئًا فِي إِقَادِ « كُرْدِلِيَا »
الطَّاهِرَةِ الْقَلْبِ ، الزَّكِيَّةِ النَّفْسِ ؛ فَقَدْ قَعَدَ سَهْمُ الْقَضَاءِ - وَلَا مَرَدَّ
لَهُ - وَلَقِيتُ حَنْفَهَا (هَلَكَهَا) مَصْلُوبَةً فِي السَّجْنِ . قَبْلَ أَنْ
تُدْرِكَهَا أَيْدِي الرُّحَمَاءِ الْمُنْقِذِينَ

... .

وَأَسْتَوْلى الدُّعْرُ وَالْحَبَالُ عَلَى الشَّيْخِ « لِيَر » ، حِينَ رَأَى مَا حَلَّ
بِابْنَتِهِ الْوَفْقَةِ ، الَّتِي لَقِيتُ حَنْفَهَا فِي سَبِيلِ نَصْرَتِهِ : فَحَمَلَتْ جُثَّتَهَا بَيْنَ
ذِرَاعَيْهِ ، وَهُوَ يُسَبِّحُ مُقَوَّنًا ، نَادِبًا :
« إِلَى ، إِلَى ، أَيُّهَا الْبَاكُونَ ! إِلَى . أَيُّهَا الْمُتَوَلِّونَ (الصَّائِحُونَ بِالْبُكَاءِ) !
إِلَى ، أَيُّهَا الْحِجَارَةُ وَالصُّخُورُ الَّتِي سَمِيتُ أَمَلِي (بَنِي آدَمَ) ! إِلَى ،
فَاثْمُرُوا بِدُمُوعِي دُمُوعَكُمْ ، وَصَبِّحُوا مَعِيَ كَمَا أَسْبَحُ . وَأَعُولُوا نَادِينَ
حَتَّى تَنْفَطِرَ (تَنْشَقَّ) السَّمَاءُ عَلَيْنَا حُرْنًا وَالْمَاءُ !



لَقَدْ مَاتَ ! أَلَا تُصَدِّقُونَ ؟

وَيْ ! هَلَكْتَ ! أَمْ كَذَّبِي أَنْتُمْ ؟

أَنَا لَا أَجْهَلُ الْفَرْقَ بَيْنَ الْمَيِّتِ وَالْحَيِّ ! إِنَّهَا لَا تَنْبِسُ بِنِسْبَةِ
شَفَقَةٍ (لَا تَلْفِظُ بِحَرْفٍ) ! لَقَدْ هَمَدْتُ ، فَمَا تُحِسُّ شَيْئًا ! هَاتُوا
مِرَاءً فَأَدُونَهَا مِنْ فَمِهَا ؛ فَإِنْ طَلَبَتْ عَلَيْهَا نَفْسًا مِنْ أَقْبَاسِهَا ،
فَلَا تَقْبَلُوهَا !

أَمْ لَوْ قَبِلْتُ سَالِمَةً إِلَى جَانِبِي ! إِذْ أَنْعَمْتُ كُلَّ مَا حَلَّ بِي مِنْ
أَعْدَائِي وَخُطُوبِي !

إِذْ أَنْتَنِي السَّعَادَةُ - بِحَبَانِهَا - كُلَّ مَا غَمَرَنِي (مَا شَمِلَنِي)
مِنْ أَسْوَاءِ (مَصَائِبِ) وَأَحْزَانٍ !

٨ - لَوْعَةُ النَّارِ كُلِّ

وَحَاوَلَ خُلُصَاؤُهُ وَأَصْفِيَائُهُ (أَسْدِقَاؤُهُ الْمُخْلِصُونَ) : « كُنْتُ
و « إِدْجَار » و « أَلْبَانِي » جَمِيعًا أَنْ يَهْوَتْ نَوَا عَلَيْهِ مِنْ مُصَابِرٍ وَفَجِيعَتِهِ ؛
فَصَبَّحَ فِيهِمْ مُتَمَوِّلًا ، وَقَدْ تَمَلَّكَهُ الذُّهُولُ :

« لَقَدْ مَاتَ ، وَعَجَزْتُمْ عَنْ إِقْضَائِهَا جَمِيعًا ! فَمَا فَلِإِدَّةِ الْحَيَاةِ
بَعْدَهَا ؟ وَاحْشَرْنَا عَلَى شَبَابِهَا النَّاصِرَ ! مَا كَانَ أَعَذَّبَ صَوْنَهَا الرَّثِيقَ !
وَمَا كَانَ أَطْيَبَ قَلْبَهَا الشَّفِيقَ ! أَرَأَيْتُمْ أَزْكَى (أَطَهَرَ) مِنْهَا نَفْسًا ،
وَأَكْرَمَ خُلُقًا ؟ فَكَيْفَ امْتَدَّتْ إِلَى عُنُقِكَ يَدُ الْجَانِي الْأَثِيمِ ! فَأَقْدَمَ
عَلَى صَلْبِكَ ، دُونَ أَنْ تَأْخُذَهُ - فِي شَبَابِكَ - رَحْمَةٌ ؟

لَقَدْ صَرَخْتُ قَاتِلَكَ بِالسَّيْفِ ، وَمَا تَشَفَّعْتُ مِنْ غَنِيظِي ، وَلَا
بَرَدْتُ بِذَلِكَ غَلِيلِي (لَمْ أَشْفِ حَرَاةَ حُرْنِي وَحَفْدِي) !

يَا لَهُمْ مِنْ أَثَمَةٍ طُغَاةٍ (مُجْرِمِينَ مُعْتَدِينَ) ! لَقَدْ خَفُّوا « الْبُهْلُولَ »
فِي السَّخَنِ ، وَأَهْلَكُوهُ جَزَاءً وَفَاءً لِي !

الْوَيْلُ لِلْجَانِبِينَ ! وَالْوَيْلُ لِلشَّافِحِينَ (الَّذِينَ أَسَالُوا الدَّمَاءَ) ! لَقَدْ
تَرَكَوا الْجُرْذَانَ (الْقَيْدَانَ) وَغَيْرَهَا مِنْ دَوَابِّ الْأَرْضِ ، دُونَ أَنْ يَنْتَرِعُوا
أَرْوَاحَهَا مِنْهَا . وَلَكِنَّهُمْ سَنُّوا (بَحَلُّوا) عَلَى « كُرْدِلِيَا » الْوَيْثِرِ
الْمُخْلِصَةِ بِالْحَيَاةِ الَّتِي تَنْمُ بِهَا التَّخِيلُ وَالِكِلَابُ ؛

مكتبة الكيلاني

٩ - خاتمة « لير » ،

وهكذا استسلم الملك « لير » ، الحزين الشاكل (الذي قد ولده)
لآلامه . وما زال يهذي حتى أسلمه هذيانُه إلى الجنون ، واستودت الدنيا
في عينيه ، وغمرت الأحزان قلبه ؛ فأظلم ، ثم أغشى عليه .
وأفاق لحظة قصيرة ، فالتفت إلى وزيره المخلص قائلاً :
« كنت : قد عرفتك !

« كُردِليَا » : لقد هَدَيْتُكَ إِلَى الأبد ! »
ثم أغشى عليه ثانية ، وأسلمته أخراجه إلى الردى ... فمات !

انتهت القصة

مجموعاتها : تسائر التليد في نحو مائة وخمسين قصة ، رائحة
الصور ، بديعة الإخراج ، متدرجة به من رياض الأطفال إلى حتم
التعليم الثانوي . ثم نُسِلَتْ إلى مكتبة الكيلاني للشباب .
مادتها : تقوم الخلق ، وتزقي ذهن ، وتعلم الأدب .
فنها : يشوق القارئ ويثبت ، ويحبب الكتاب إليه .
لُتْها : تُشغى ملكة التعبير ، وتطبع اللسان على فصيح البيان .
تؤدّه رشيدة ، أجمع على تأييدها ووزراء المعارف ورعاة التعليم
وقادة الرأي في الشرق ، وكبار المستشرقين وأعلام التربية في الغرب .
أول مكتبة عربية عُيِّنَتْ بنشئة الطفل على أحدث أسس
التربية الصحيحة . تولت طباعتها العربية ؛ فتشفت بها الجيل
الجديد في بلاد المروبة ، ولم يحل منها بيت عربي .

ترجمت إلى أكثر اللغات الشرقية وبعض اللغات الغربية .
مدرسة حرة ، إذا عرّضها التليد ، سقى إليها بلا ترغيب ولا ترهيب
كانت أكبر أمنية للآباء ، وهي اليوم أشقى عداة ثقافي للآباء .